صورة المغرب في الخطاب السياسي والإعلامي الجزائري:
هندسة الكراهية وصناعة العدو الخارجي

سعيد الحجي
باحث في العلاقات الدولية والدبلوماسية
academy.hajjisaid@gmail.com
المملكة المغربية

الملخص:

تهدف هذه الورقة إلى رصد وتحليل الكيفية التي يبني بها الخطاب السياسي والإعلامي الجزائري صورة المغرب بوصفه "عدوا خارجيا"، من خلال آليات هندسة الكراهية وصناعة العداء وإعادة تشكيل "الآخر"، مع التركيز على التمثلات الجماعية والوظائف السياسية والاجتماعية لهذا البناء الرمزي. وتعتمد الدراسة منهج تحليل الخطاب السياسي والإعلامي، مدعوما بسوسيولوجيا التمثلات الاجتماعية وسيكولوجيا العداء الجماعي، استنادا إلى متن خطابي (Corpus) متعدد المستويات يشمل الخطابات الرسمية والإعلام العمومي وشبه الرسمي والفضاء الرقمي والخطاب الرياضي وتمثلات ثقافية ورمزية.

تخلص النتائج إلى أن العداء تجاه المغرب ليس معطى طبيعيا في العلاقات الجزائرية–المغربية، بل هو بناء سياسي–رمزي قابل للتحليل والتفكيك، يؤدي وظائف الشرعنة والتحشيد وتحويل الانتباه وإعادة تشكيل الهوية داخل السياق الجزائري. كما توضح الدراسة أن هذا البناء العدائي يسهم في تفكيك الفضاء المغاربي وتعطيل إمكانات المصالحة، مع بروز ظاهرة لا متناظرة في مستوى العداء الشعبي، وتصاعد وتيرة خطاب مغربي عدائي مضاد في السنوات الأخيرة، وإن ظل خارج القنوات الرسمية. وتُختتم الورقة باستشراف سيناريوهات رئيسية: مصالحة مشروطة مؤجلة، أو استمرار العداء وتصلب التمثلات، بشكل يؤدي إلى رفع الكلفة التاريخية والسياسية لأي تسوية مستقبلية.

الكلمات المفتاحية: هندسة الكراهية؛ صناعة العدو الخارجي؛ الأخرنة؛ صورة العدو؛ الأمننة؛ الذعر الأخلاقي؛ البارانويا السياسية؛ التمثلات الاجتماعية؛ الهوية السلبية؛ العلاقات الجزائرية–المغربية؛ الفضاء المغاربي؛ المصالحة؛ الخطاب السياسي؛ تحليل الخطاب.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Engineering Hatred and Constructing the "External Enemy": A Critical Analysis of the Hostile Image of Morocco in Algerian Political and Media Discourse

Abstract:

This study explores the discursive and psychological mechanisms employed by Algerian political and media discourse to construct Morocco as a functional "external enemy." Utilizing Political Discourse Analysis (PDA) and a theoretical framework including "Othering," "Securitization," "Moral Panic," and "Political Paranoia," the research analyzes how this hostile image is manufactured. The findings reveal that engineering hostility serves vital functions for the current regime: legitimizing authority, mobilizing the masses through negative identity, and diverting attention from internal structural crises. The study concludes that the persistence of this symbolic construction has led to the fragmentation of the Maghreb space and the emergence of a counter-discourse in Morocco, significantly raising the historical costs of any future settlement. Transcending the logic of the "Necessary Enemy" is identified as a prerequisite for any genuine regional reconciliation.

Keywords: Engineering Hatred, Enemy Construction, Othering, Securitization, Moral Panic, Negative Identity, Algerian-Moroccan Relations, Discourse Analysis.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

مقدمة

تشكل الحالة الجزائرية–المغربية واحدة من أكثر حالات التوتر السياسي المزمنة في العالم والفضاء الإفريقي المعاصر، ليس فقط بحكم القطيعة الدبلوماسية أو الحدود المغلقة منذ 1994، بل بحكم بنية عدائية أصبحت جزءا من الخطاب السياسي والإعلامي الجزائري تجاه المغرب، بصورة تتجاوز الخلافات السيادية التقليدية لتبلغ مستوى هندسة الكراهية وصناعة صورة عدو خارجي. وتزداد فرادة هذه الحالة حين يتم استحضار البعد التاريخي الذي طبع العلاقات بين البلدين، لاسيما في مرحلة حرب التحرير الجزائرية، حيث لعب المغرب دورا مركزيا في دعم المجاهدين سياسيا ولوجستيا وعسكريا وحتى شعبيا، وهو ما ولد لدى جيل الستينيات ما يمكن تسميته بـــ"ذاكرة التضامن". وتقوم المفارقة هنا على التناقض بين هذه "الذاكرة المشتركة" وبين ما آلت إليه الأمور في العقود اللاحقة من عداء سياسي–خطابي متصاعد، لم يعد يقتصر على السلطة، بل بات يمتد إلى الإعلام العمومي الرسمي وشبه الرسمي، ثم إلى شرائح واسعة من المجتمع عبر الفضاء الرقمي والرياضي والديني والثقافي.

هذا التحول يفرض الانتقال من سؤال "لماذا يوجد توتر بين البلدين؟" إلى سؤال أكثر تركيبا: كيف يبنى هذا العداء؟ وكيف يعاد إنتاجه؟ ولمصلحة من يستدام؟ بمعنى أن العداء في الحالة المغربية/الجزائرية ليس مجرد نتاج لتعارض المصالح الإقليمية أو اختلاف في الخيارات الجيوسياسية، بل هو بناء سياسي–خطابي تصنعه الدولة وتستثمر فيه.

وانطلاقا من ذلك، يمكن صياغة الإشكالية المركزية للدراسة على النحو الآتي:

كيف يبني الخطاب السياسي والإعلامي الجزائري صورة المغرب بوصفه "عدوا خارجيا"، من خلال آليات هندسة الكراهية وصناعة العداء؟ وما هي الوظائف السياسية والاجتماعية لهذا البناء العدائي في السياق الداخلي الجزائري؟ وما هي آثاره المحتملة على البنية الإقليمية وتمثلات الشعبين وآفاق المصالحة؟

تنبني هذه الإشكالية على ثلاث فرضيات متداخلة:

- إن العداء الجزائري تجاه المغرب ليس معطى "طبيعيا" أو قدرا تاريخيا، بل هو بناء سياسي–رمزي قابل للتحليل والتفكيك.
- إن هذا البناء العدائي يؤدي وظائف سياسية واجتماعية داخلية (شرعنة، تحشيد، تحويل انتباه، إنتاج هوية سلبية).
- إن استمرار العداء يخلف آثارا بنيوية على الفضاء المغاربي وتمثلات الشعبين، ويقلص إمكانات المصالحة ويرفع كلفة أي تسوية مستقبلية.

وتتجلى أهمية هذه الدراسة في ندرة الاشتغال العلمي على موضوع هندسة الكراهية الجزائرية تجاه المغرب ضمن إطار نظري صريح، رغم الحضور الكثيف لهذه الظاهرة في الواقعين السياسي والإعلامي خلال العقدين الأخيرين، فضلا عن فرادة هذه الحالة قياسا بالحالات المقارنة. فحتى في سياقات العداء التاريخي العميق بين دول متجاورة، مثل الهند وباكستان، أو تركيا واليونان، أو فرنسا وألمانيا قبل المشروع الأوروبي، لم يتحول الصراع إلى هندسة كراهية شاملة تستهدف المجتمع والرموز والثقافة والذاكرة اليومية للطرف الآخر. إذ ظل العداء، رغم حدته، محصورا في إطار الصراع العسكري–السياسي، من دون أن يُبنى على شيطنة ممنهجة للشعوب أو نزع أخلاقيتها أو التشكيك في وجودها التاريخي. في المقابل، تكشف الحالة الجزائرية عن عدم تناظر لافت؛ إذ يقابل العداء العالي الشدة، والذي يرتقي في كثير من مظاهره إلى عقيدة ثابتة في الخطاب الجزائري، بخطاب مغربي رسمي منخفض الشدة يقوم على التجاهل وسياسة "اليد الممدودة"، إلى جانب حياد شعبي نسبي، وإن كان آخذا في التآكل سنة بعد

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

سنة. وهو ما يمنح هذه الحالة خصوصيتها التحليلية ويبرر دراستها باعتبارها نموذجا مغايرا في أدبيات الصراع والعداء بين الدول المتجاورة.

تعتمد الدراسة تحليل الخطاب السياسي (Political Discourse Analysis)[1] وتحليل الخطاب الإعلامي ضمن مقاربة واحدة مدعومة بأدوات من سوسيولوجيا التمثلات الاجتماعية وسيكولوجيا العداء الجماعي. ولا تروم هذه الدراسة استقصاء كميا شاملا لكل مواد الخطاب الجزائري تجاه المغرب، بل تعتمد تحليلا نوعيا يهدف إلى تفكيك البنيات الخطابية والتمثلات المهيمنة داخل متن متعدد المستويات (رسمي/إعلامي/رقمي/رياضي/ديني/رمزي/شعبي)، جرى بناؤه وفق معايير قصدية لا إحصائية. يغطي جل المتن فترة زمنية ممتدة من سنة 2019 إلى نهاية سنة 2025، باعتبارها مرحلة شهدت تصعيدا ملحوظا في الخطاب الرسمي والإعلامي الجزائري تجاه المغرب. وبالنظر إلى طبيعة المحتوى الرقمي بوصفه محتوى متغيرا وسريع الزوال، وتتعذر معه، في كثير من الحالات، شروط الأرشفة والتوثيق الدقيق، علاوة على تضمنه أحيانا تعبيرات سوقية أو غير أخلاقية لا تصلح للنقل الحرفي داخل متن أكاديمي؛ فقد تم اعتماد أمثلة تمثيلية مختارة على أساس تكرار الأنماط ودلالتها التحليلية واتساع تداولها، مع توجيه الاهتمام إلى الآليات والديناميات بدل توثيق كل واقعة جزئية. كما يتم توظيف المفاهيم النفسية والاجتماعية الواردة في الدراسة بوصفها أدوات تفسيرية لتحليل الخطاب والتمثلات، لا بوصفها تشخيصات سريرية للأفراد أو المجتمعات. وأخيرا، تُستخدم التوصيفات الواردة بالدراسة مثل "اللاتناظر" أو "تصاعد الخطاب المضاد" باعتباره خلاصة نوعية قابلة للتطوير ببحوث مقارنة لاحقة، وليس حكما نهائيا مغلقا.

وتستند الدراسة إلى جهاز مفاهيمي–نظري يضم مفاهيم صناعة العدو(Enemy Construction) ، والأخرنة (Othering)، وصورة العدو(Enemy Image) ، والتمثلات الاجتماعية(Social Representations) ، والأمننة (Securitisation)، والذعر الأخلاقي(Moral Panic) ، والأسلوب البارانوي في السياسة (Paranoid Style in politics)، والهوية السلبية(Negative Identity) ، والمرآة المكسورة والنرجسية الجماعية، وغيرها من المفاهيم المستمدة من حقل العلوم السياسية وعلم الاجتماع والعلوم النفسية الاجتماعية.

وتتوزع الدراسة على مبحثين رئيسيين مترابطين: يعالج الأول كيفية بناء صورة المغرب كعدو خارجي من خلال التاريخ والخطاب والآليات والسيكولوجيا، بينما يركز المبحث الثاني على وظائف هذا العداء وآثاره الإقليمية وتمثلات الشعبين وآفاق المصالحة. ويسمح هذا التقسيم بالانتقال المنهجي من مستوى الوصف والتحليل البنيوي إلى مستوى الوظائف والنتائج والاستشراف.

---

[1] يقصد بتحليل الخطاب السياسي (Political Discourse Analysis) ذلك الحقل التحليلي الذي ينصب على دراسة أنماط الكلام والنصوص المتداولة في ارتباط مباشر بقضايا سياسية محددة، أو الصادرة عن فاعلين سياسيين مؤسسيين، بغية تفكيك الكيفية التي توظف بها اللغة في إنتاج المعنى السياسي، وبناء الشرعية، وتوجيه الفعل السياسي. ولا يقتصر هذا التحليل على الخطابات ذات الطابع السياسي الصريح، بل يمتد ليشمل استعمالات اللغة السياسية حتى في سياقات تبدو، ظاهريا، غير سياسية، متى كانت صادرة عن فاعلين سياسيين أو منخرطة في ديناميات السلطة والصراع والتأثير. للمزيد راجع المقال التالي:

Zohar Kampf, "Political Discourse Analysis," in The International Encyclopedia of Language and Social Interaction, ed. Karen Tracy et al. (Hoboken, NJ: Wiley-Blackwell, 2015).

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المبحث الأول: بناء صورة المغرب كعدو خارجي

يهدف هذا المبحث إلى تفكيك الكيفية التي تشكلت بها صورة المغرب كـــ"عدو خارجي" داخل المخيال السياسي الجزائري، انطلاقا من التحقيب التاريخي لمسار العلاقات بين البلدين، مرورا بالمفاهيم النظرية التي تفسر صناعة العدو والأخرنة وصورة العدو، وصولا إلى آليات هندسة الكراهية وسيكولوجيا العداء الجماعي الذي حول العداء من موقف سياسي إلى ممارسة ثقافية وطقس يومي. يمثل هذا المبحث الشق البنيوي–التفسيري من الدراسة، الذي يهيئ الأرضية لفهم الوظائف والآثار في المبحث الثاني.

المطلب الأول: الإطار التاريخي–الخطابي لصناعة العدو الخارجي

يركز هذا المطلب على الإجابة عن سؤال: كيف انتقلنا من ذاكرة تضامن مغربي–جزائري في سياق حرب التحرير، إلى ذاكرة صراعية تقدم المغرب بوصفه تهديدا بنيويا؟ وللإجابة عن هذا السؤال، يجمع المطلب بين تحقيب تاريخي وتحليل مفاهيمي لصناعة العدو والأخرنة والتمثلات.

الفرع الأول: تحقيب العداء وتحولاته

يصعب، في واقع الأمر، وضع تحقيب دقيق لمسار تشكل العداوة بين المغرب والجزائر، سواء على مستوى القرار السياسي أو في الذاكرة الشعبية. مع ذلك، يلاحظ أن جزءا من المؤرخين الجزائريين يجهدون أنفسهم لإيجاد جذور تاريخية سحيقة لهذا العداء، عبر استدعاء أحداث قديمة وانتزاعها من سياقاتها، وترديد سرديات فضفاضة في الحوارات التلفزية وفي مقالات صحفية. ومن الأمثلة الدالة على هذا النزوع الافتتاحية التي نشرتها "مجلة الجيش" (عدد يوليوز 2025)، والتي تربط ما تصفه بعداء المغرب للجزائر بسلسلة من "الخيانات" الممتدة عبر قرون، بدءا من أسر بوخوس "المغربي" ليوغرطة "الجزائري" وتسليمه إلى الرومان سنة 104 ق.م، مرورا بمحاصرة الأمير عبد القادر سنة 1847 بالتنسيق مع فرنسا، وصولا إلى اعتقال "الزعماء الخمسة" سنة 1956 بعد إقلاع طائرتهم من المغرب.[1]

غير أنه يمكن الجزم أن العبارة الشهيرة للرئيس أحمد بن بلة، "حكرونا إخواني، حكرونا..."، التي صدرت عنه عقب هزيمة الجزائر في حرب الرمال سنة 1963، تمثل اللحظة الرمزية الأولى التي خرجت فيها العداوة من حيز التأويل التاريخي إلى حيز الخطاب السياسي المعلن بين الدولتين بعد الاستقلال. وما بين صرخة بن بلة وسياقات اليوم، ظلت العلاقات المغربية–الجزائرية تتأرجح بين الانفراج النسبي والتوتر، دون أن تبلغ مستوى حسن الجوار أو التطبيع الكامل.

نظريا، يمكن اعتماد تحقيبات عدة لهذا العداء (زمنية وموضوعاتية) حسب الأهداف المعدة سلفا للبحث، إلا أنه، ارتباطا بإشكالية الدراسة وفكرتها المركزية، يمكن التمييز، على نحو تقريبي، بين مرحلتين متباينتين في تشكل العداء الجزائري تجاه المغرب: مرحلة ما قبل عبد العزيز بوتفليقة التي اتسمت بغلبة الحكم العسكري على بنية الدولة، بما في ذلك الرئاسة، ومرحلة ما بعده التي شهدت صعود رؤساء مدنيين مع استمرار المؤسسة العسكرية كفاعل رئيسي في هندسة القرار السياسي. ورغم أن عهد بوتفليقة عرف انخفاضا نسبيا في منسوب التوتر بعد وفاة الملك الحسن الثاني، إلا أن صورة المغرب لم تتحسن بنيويا؛ إذ تزايدت لاحقا مظاهر العداء الخطابي وتعاظمت سرديات التفوق الرمزي والتنقيص من المغاربة، مستفيدة من البحبوحة المالية التي عاشتها الجزائر في العقد الأول من الألفية، قبل تدهور الوضع الاقتصادي للبلد والصحي للرئيس.

---

[1] مجلة الجيش، عدد 744 (جويلية 2025)، وزارة الدفاع الوطني الجزائري، https://www.mdn.dz، تاريخ الاطلاع: 14 يناير 2026.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

أ. المرحلة الأولى: من الاستقلال وحرب الرمال إلى نهاية عهد بوتفليقة:

خلال هذه المرحلة، يمكن رصد بناء صورة المغرب في الجزائر بوصفه "عدوا خارجيا" ضمن مسار تدرجي يمر بفترتين متمايزتين. في الفترة الأولى، رغم سلسلة من المحطات الصدامية،[1] لكنها تعد فترة التضامن والذاكرة المشتركة؛ تبلور فيها وعي الجيل الجزائري الأول بعد الاستقلال داخل أفق ثقافي–تاريخي مشترك يشمل اللغة والدين والجوار الجغرافي، إضافة إلى ذاكرة الكفاح ضد الاستعمار الفرنسي حيث لعب المغرب دورا واضحا في احتضان المقاومة الجزائرية ودعمها.

هذه الذاكرة الدينية–اللغوية–النضالية، مقرونة بكثافة الروابط الاجتماعية والعائلية والتجارية عبر الحدود، جعلت تحويل المغرب إلى "عدو" داخل المخيال الشعبي أمرا متعسرا وغير مقبول خلال ستينيات وبدايات سبعينيات القرن الماضي، رغم حرب الرمال سنة 1963 وما أنتجته من خصومة سياسية وعسكرية مبكرة بين النظامين. لذلك، بقي العداء حينها سياسيا–نخبويا محدود الأثر الاجتماعي، من دون حاضنة أو قاعدة شعبية، و لم يتوطن بعد في الثقافة أو في الوعي الشعبي.

في الفترة الثانية، أي في منتصف السبعينيات، ومع بروز نزاع الصحراء، انتقل التوتر من خلاف حدودي قابل للتدبير إلى نزاع بنيوي حول الشرعية والسيادة والتموقع الإقليمي، وبدأ الخطاب الرسمي الجزائري يعيد تعريف المغرب من "جار مختلف" سياسيا إلى فاعل مرفوض في مسألة يعتبرها قضية وجودية. وقد تجسد ذلك في طرد المغاربة من الجزائر سنة 1975، فيما سميت بـــ"المسيرة السوداء" أو "المسيرة الكحلة"، في عملية تهجير قسري لزهاء 350 ألف شخص، أي نفس عدد الأشخاص الذين شاركوا في المسيرة الخضراء، وذلك صبيحة عيد الأضحى يوم 18 دجنبر 1975 (أي بعد شهر على المسيرة الخضراء)، أيام حكم هواري بومدين بالجزائر.[2] علما أن هذا القرار قوبل في أوساط واسعة من الجزائريين بكثير من الابتهاج، لاسيما وأن التهجير الجماعي تبعته عمليات سطو ونهب ومصادرة لأملاك المغاربة المطرودين.[3]

ورغم أن مظاهر التنقيص والتحقير من المغاربة بدأت بشكل محتشم قبل مأساة الطرد الجماعي بسنوات، غير أن هذه اللحظة شكلت نقطة انعطاف تسارعت فيها عملية مأسسة العداء عبر أدوات متعددة، شملت المدرسة ومقررات التاريخ والتربية الوطنية والإعلام العمومي والخطاب الدبلوماسي، فضلا عن الفضاء الثقافي–الرمزي الذي أسهم في إعادة ترسيم الحدود بين "الذات الجزائرية" و"الآخر المغربي".

---

[1] شهدت العلاقة بين المغرب والجزائر بعد الاستقلال سلسلة من المحطات الصدامية التي تراكمت لتحول الجوار إلى خصومة بنيوية. بدأت الأزمة مع حرب الرمال (1963–1964) التي أنهت مبكرا منطق التضامن الثوري وحولت الخلاف الحدودي إلى مواجهة عسكرية. ثم أحدث الخلاف حول الصحراء الغربية منعطفا حاسما، خصوصا بعد المسيرة الخضراء (نوفمبر 1975) وما أعقبها من طرد جماعي للمغاربة من الجزائر (ديسمبر 1975) في "المسيرة الكحلة"، ما نقل النزاع إلى مستوى العقاب الجماعي للأفراد. وفي فبراير 1976، عمق إعلان "الجمهورية الصحراوية" واعتراف الجزائر بها القطيعة السياسية والدبلوماسية. وتحول الخلاف إلى نزاع مؤسسي سنة 1984 مع قبول الكيان الصحراوي في منظمة الوحدة الإفريقية وانسحاب المغرب ردا على ذلك. وحتى اتحاد المغرب العربي (1989) لم ينجح في تجاوز هذا الإرث، إذ دخل في شلل مبكر خلال بداية التسعينات. وانتهى العقد بانفجار أزمة أمنية–دبلوماسية إثر تفجيرات مراكش (غشت 1994)، فرض المغرب بعدها التأشيرة، وردت الجزائر بإغلاق الحدود البرية، لتختم التسعينات بقطيعة مادية وجيوسياسية بين البلدين.

[2] "ذكرى بومدين.. عندما رد بوخروبة بمسيرة "كحلاء" على "الخضراء"،" مقال رأي، هسبريس، 18 يناير 2024، https://www.hespress.com/، تاريخ الاطلاع: 25 يناير 2026.

[3] "مغاربة مطرودون من الجزائر يطالبون..."، خبر صحفي، الجزيرة نت، 11 أبريل 2007، متاح على الرابط: https://www.aljazeera.net/news/2007/4/11/...، تاريخ الاطلاع: 25 يناير 2026.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

تدريجيا، مع تراجع "جيل التضامن والذاكرة المشتركة" وصعود أجيال تلقت وعيها من رواية رسمية مؤطرة، تحول العداء تصاعديا من ملف سياسي قابل للتفاوض إلى سردية شبه ثابتة، سيتم تسخيرها أساسا للمرحلة الموالية المتمثلة في تعميم العداء وتدويله.

ب. من وفاة بوتفليقة إلى اليوم:

مع الحراك الشعبي سنة 2019، وما رافقه من إعادة ترتيب هرم السلطة وصعود ثنائية تبون/شنقريحة بعد مرحلة القايد صالح، وعودة المؤسسة العسكرية إلى واجهة القرار السياسي، دخلت الجزائر طورا جديدا في توظيف صورة المغرب. ترافق ذلك مع تراكم أزمات اجتماعية واقتصادية داخلية، وتبدل في البيئة الإقليمية تمثل في تعزيز الحضور المغربي في إفريقيا، واعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بسيادة المغرب على الصحراء، وتطبيع العلاقات المغربية–الإسرائيلية. وفي الوقت ذاته، اتجهت علاقات الجزائر مع عدد من القوى الإقليمية والدولية نحو التدهور، كما هو الحال مع فرنسا وإسبانيا ودول الساحل.

في هذا السياق المركب، وبفعل الموجة الثانية من سلسلة الصدامات،[1] اكتسب العداء تجاه المغرب وظيفة إضافية تتمثل في توفير مورد رمزي لإدارة التوترات الداخلية وإعادة بناء سردية السلطة، وانتقل العداء من نطاق النخبة إلى المجال العمومي عبر بنية إعلامية متشعبة تشمل القنوات الفضائية العمومية والخاصة، والصحافة الورقية والإلكترونية، ومنصات التواصل الاجتماعي والبرامج الرياضية. وقد أسهم هذا الانتشار في تكرار القاموس العدائي على نحو منتظم، وتكريس المغرب كعدسة تفسيرية لعدد من الملفات الداخلية والإقليمية، بشكل يعمق من مظاهر مأسسة العداء (Institutionalization of Hostility) وتحويله إلى عقيدة ونمط ثابت لإعادة تأطير العلاقات السياسية والأمنية.

وبالتوازي مع ذلك، تعمق تدويل هذا العداء وزادت كثافته، وتمت تعبئة موارد مالية ضخمة لتوسيعه وإبرازه؛ بحيث لم يعد موجها للداخل فقط، بل سعى إلى بناء سردية عدائية حول المغرب في فضاءات خارجية متعددة، عبر وسائل إعلام دولية ولوبيات سياسية ومنظمات دولية مثل الأمم المتحدة ومجلس الأمن ومنظمات حقوقية وواجهات دبلوماسية في أوروبا وأمريكا، كما في الفضاءين الإفريقي والمغاربي، ولاسيما في الدول التي كانت محسوبة على المعسكر الشرقي سابقا. وقد تجسد سعي الجزائر إلى تدويل العداء في التصريحات العدوانية لوزراء الخارجية الجزائرية ضد المغرب حيثما حلوا وارتحلوا، كما أصبح المغرب وقضية الصحراء الغربية المغربية القضية الوطنية الأولى[2] لممثلي الجزائر في المحافل الدولية كما صرح بذلك وزير الخارجية المغربي ناصر بوريطة. وهو ما يحيل إلى إرادة سياسية إلى إبقاء الملف كأداة تعبئة وهوية لا كملف قابل للتسوية تكون له أثمان وتداعيات داخلية وخارجية على النظام الجزائري.

---

[1] إجمالا يمكن اختصار العلاقة بين الجزائر والمغرب من وفاة بوتفليقة إلى اليوم باستمرار مسار تصاعد التوتر بين البلدين، حيث فشلت محاولات التقارب بين 1999 و2002 في فتح الحدود المغلقة منذ 1994، ثم تجدد التصعيد مع حادثة إنزال العلم المغربي في وهران (2013) وتنامي المناوشات الحدودية (2014–2016). وفي 2017 نقلت عودة المغرب إلى الاتحاد الإفريقي النزاع إلى ساحة تنافس دبلوماسي مؤسسي. ومع الاعتراف الأمريكي بمغربية الصحراء سنة 2020 وما صاحبه من تطبيع مغربي–إسرائيلي، اعتبرت الجزائر التحول تهديدا استراتيجيا مباشرا. وتفاقم الوضع في صيف 2021 إثر أزمة "القبائل" وملف بيغاسوس وأحداث منطقة العرجة المتاخمة لمدينة فكيك، لتنتهي المرحلة بإعلان قطع العلاقات (غشت 2021) ثم إغلاق الأجواء ووقف أنبوب الغاز. لاحقا برزت أشكال رمزية–شعبية للتوتر مثل أزمة "الشان" (2023) وصولا إلى مقتل سياح مغاربة قرب السعيدية (غشت 2023)، ما كرس انتقال الخلاف من توتر سياسي إلى قطيعة مؤسسية وذاكرة اجتماعية جريحة.

[2] ناصر بوريطة، «موقف الجزائر من قضية الصحراء يكشف الوجه الحقيقي للنظام الجزائري»، موقع هسبريس (Hespress)، يوتيوب، 7 فبراير 2021، https://www.youtube.com/watch?v=Iw3Q8M6DiaE، تاريخ الاطلاع: 30 يناير 2026.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

وبذلك انتقل العداء من تعبير رسمي قابل للاحتواء إلى عداء مُمأسس ومُعمم ومُدول، ذي وظائف سياسية داخلية وخارجية متشابكة.

الفرع الثاني: صناعة العدو الخارجي، صورة العدو، والأخرنة أو "الآخر"

لا يكفي أن نقول إن النظام الجزائري يرى في المغرب خصما أو منافسا إقليميا؛ فهذه صياغة سطحية، أو بالأحرى "واقعية" مبسطة لا تلتقط البنية العميقة للخطاب. ما يحدث بين الجزائر والمغرب هو أقرب إلى عملية معقدة يمكن تسميتها، بحسب عدد من المنظرين السياسيين، بـــ"صناعة العدو الخارجي".

تكشف الأدبيات الكلاسيكية أن العدو الخارجي لا يفهم كمعطى طبيعي، بل كبناء سياسي–تمثلي تُعرف الجماعة من خلاله ذاتها وحدودها. في هذا السياق، يضع مكيافيلي الصراع في قلب السياسة حين يقرر أن الحرب كانت فعلية أو محتملة (باعتبارها أفقا للمواجهة الدائمة) تتموضع في صميم السياسة ذاتها.[1] ويجد هذا التصور صداه عند كارل شميت، الذي أقام مفهوم السياسي على ثنائية الصديق والعدو، معتبرا إياها المحدد النهائي الذي تنتظم في ضوئه الأفعال السياسية وتُفهم دوافعها،[2] وأن العدو السياسي لا يلزم أن يكون شريرا أخلاقيا أو منافسا اقتصاديا(...) إنما تقوم العداوة على معارضة وجودية بين جماعتين.[3] هنا لا يكون العدو خطأ أخلاقيا أو خصما اقتصاديا، بل "آخرا وجوديا" تختزل فيه أسئلة الحياة والموت السياسي للجماعة.

وتضيف الأدبيات اللاحقة على هذا البعد الوجودي وظيفة سياسية صريحة. فالعدو عند بيار كونيزا ليس مجرد "آخر"، بل آلية لتسكين القلق وإدارة الأزمات؛ فهو الآخر والشر والتهديد (...) الذي يقوم بوظيفة مهدئ للقلق عبر تحمله –حقيقة أو وهما– مسؤولية مخاوفنا الجماعية، ويمكنه أن يثبت نظاما سياسيا، ويسهم في إسمنت الجماعة، بل يشكل مخرجا لسلطة تواجه صعوبات داخلية.[4] وفي جانب آخر، يبين لوران دورنيل كيف تنتج الذاكرة الطويلة "عدوا وراثيا" عبر تراكم السرديات وصدمات الحرب، حيث تتبلور ذاكرة للعدو تجمع عناصر قديمة مع أخرى جديدة، وتنقل سمات أعداء سابقين إلى عدو واحد، ضمن نظام (زينوفوبي) وسياسات تَذَكُر رسمية.[5] بينما يلخص أندريه جاكوب البعد البنائي في عبارته المكثفة: العدو ينبغي بناؤه وإعادة بنائه باستمرار من أجل تبرير كل قرار بالحرب.[6]

بهذا، يصبح العدو عند شميت تعريفا وجوديا للسياسة، وعند كونيزا أداة لإدارة القلق وتثبيت النظام، وعند دورنيل وجاكوب منتجا لسرديات الذاكرة وسياسات التذكر.

ضمن هذا الإطار، لا يمكن التعامل مع صورة المغرب في الخطاب الجزائري كنتاج "توتر عابر" في ملف حدودي أو إقليمي؛ بل كخيار متكرر لصناعة عدو يحمل مسؤولية الاختلالات الداخلية ويتم توظيفه في إعادة لحمة الجماعة. هذا ما يجعل المغرب، في البناء الخطابي، ليس خصما في موضوع معين ومحدد، بل هو بنية تفسيرية جاهزة؛ بحيث تصبح كل أزمة اقتصادية أو احتقان

---

[1] Cristina Ion, "Guerre et politique: L'ennemi chez Machiavel," Annals of the University of Bucharest – Political Science Series 8 (2006). P. 19.

[2] Predrag Petrović, "Enemy as the Essence of the Political," Western Balkans Security Observer, no. 13 (2009). p. 3.

[3] Ibid., p. 3.

[4] Conesa, Pierre. *La fabrication de l'ennemi dans les démocraties…*, 1998, p. 2

[5] Dornel, Laurent. *La fabrication de l'ennemi "héréditaire" allemand (1815–1914). *, 2014, p. 107

[6] Jacob, André. *Réflexions sur la construction de l'ennemi. *, Société, no. 22, 2002, p. 72.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

اجتماعي أو توتر سياسي حدودي أو فشل دبلوماسي مجالا لإعادة التأويل عبر "المؤامرة المغربية" أو "الحرب غير المعلنة"، بدءا من اتهام المغرب بمسؤوليته عن "اصفرار عشب ملعب رياضي جديد"، وصولا إلى ضلوعه في قرار رفض مجموعة (البريكس) طلب الجزائر الانضمام إليها.

وعلى نفس المستوى، ومن نفس المنظور، يتم النظر إلى المغرب من خلال كونه هو "الآخر". في هذا الصدد، يُقدم مفهوم الأخرنة (Othering) من "الآخر" أداة دقيقة لقراءة كيفية تحويل المغرب إلى "آخر الذي لا يمكن مساكنته أو مجاورته". وتصوغ إلينا فاهينسالو هذه العملية باعتبارها فرزا هرميا بين "نحن" و"هم"، وبتعبيرها هي: عملية يصنف فيها الأفراد إلى جماعات هرمية من "هم" و"نحن"، وغالبا ما تتم عبر الوصم وتبسيط الفوارق، بحيث يَمنح "نحن" لنفسه هوية من خلال فصل نفسه عن "الآخر".[1]

ويراد من هذه الثنائية تحقيق إحساس بالانتماء الاجتماعي عبر إقصاء غير المرغوب فيه والآخر، وتنتج هذه العملية سرديات غير متوازنة توسم فيها بعض الهويات بالتفوق وأخرى بالدونية.[2] من جهته، يربط ينسن (Jensen) ذلك مباشرة بعلاقات القوة، حين يعرف (الأخرنة) بأنها عمليات خطابية تُعرف من خلالها الجماعات القوية –التي قد تكون أو لا تكون أغلبية عددية– الجماعات الخاضعة تعريفا اختزاليا، تسند إليها خصائص إشكالية و/أو دونية، وتؤكد مثل هذه العمليات الخطابية مشروعية وتفوق الأقوياء، وتشرط في الوقت نفسه تكون الهوية لدى الخاضعين.[3]

ويضاف إلى ذلك ما يشير إليه توماس أولالد وآخرون، استلهاما من المفكر إدوارد سعيد، من أن "الإبستمولوجيا" (...) ليست حيادية أبدا، بل هي دائما دراسة اجتماعية وسياسية؛ لذلك يؤكد سعيد أن المعرفة –التي تنتج دائما داخل موقع اجتماعي معين– مرتبطة ارتباطا وثيقا بعلاقات القوة،[4] وأن صورة الذات تصاغ عبر "تشييد صورة سلبية للآخر" بحيث "تنشأ صورة للذات يمكن قبولها والمصادقة عليها".[5] من هنا تصبح المعرفة بالآخر جزءا من هندسة التفوق والدونية، لا وصفا بريئا لعالم اجتماعي.

على ضوء هذا الجهاز النظري، يمكن قراءة الأوصاف المتكررة للمغرب في الإعلام الجزائري، من قبيل "المخزن" و"مملكة الرذيلة" و"المطبع مع الكيان الصهيوني" و"بلد الدعارة والمخدرات" و"الجار المتآمر" و"بواسين اليدين" والعياشة" و"الراكعين للملك"...، بوصفها صيغا أخرنية اختزالية تجرد المغرب من شرعية فاعل سيادي، وتعيد إنتاجه كجسم منحرف معياريا وسياسيا وأخلاقيا. فالبرامج التي تسخر من أي نجاح مغربي باعتباره "فبركة مخزنية عبر الفوطوشوب"، بما فيها ملاعب بطولة الكان

[1] Vaahensalo, Elina. "Creating the Other in Online Interaction: Othering Online Discourse Theory." *The Emerald International Handbook of Technology-Facilitated Violence and Abuse*, Emerald Publishing, 2021, p.229.

[2] Ibid., p.229.

[3] Jensen, Sune Qvotrup. "Othering, Identity Formation and Agency." Qualitative Studies, vol. 2, no. 2, 2011, p.66.

[4] Thomas-Olalde, Oscar, and Astride Velho. "Othering and Its Effects – Exploring the Concept." *Othering and Its Effects – Exploring the Concept*, University of Innsbruck, n.d., p.30.

[5] Ibid., p.30.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

2025، والتقارير التي تفسر التغلغل المغربي في إفريقيا كجزء من "مخطط لتطويق الجزائر"، ليست شذرات عابرة بدون دلالات، بل أمثلة عملية على اشتغال هذه البنية: تثبيت "نحن" نقية/مهددة، مقابل "هم" مدنسة/مهددة.

بهذا المعنى، يتقاطع بناء العدو الخارجي عند شميت وكونيزا ودورنيل وجاكوب مع ديناميات (الأخرنة) عند فاهينسالو وينسن وإدوارد سعيد ليشكل نواة صلبة في سيكولوجيا العداء الجماعي تجاه المغرب؛ حيث تستخدم صورة "الآخر المغربي" لتسكين القلق وإعادة إنتاج الهوية وتبرير السياسات وإضفاء المعنى على الأزمات الداخلية. ومن هنا يصبح المغرب من الناحية الوظيفية اختزالا لا يصف سياسة بل "طبيعة" منحرفة؛ أي نقل المغرب من خانة الفاعل السيادي إلى خانة الفاعل المعياري المنحرف. وبالتالي، يصبح في المخيال السياسي الجزائري أكثر من خصم إقليمي، بل عدوا وظيفيا وراثيا و"مؤخرنا" في آن واحد، تُبنى عليه سرديات الكراهية وتعاد به شرعنة القطيعة.

المطلب الثاني: آليات هندسة الكراهية في الخطاب الجزائري

بعد تحديد السياق التاريخي ووضع الإطار النظري لصناعة العدو والأخرنة وصورة العدو، ينتقل هذا المطلب إلى المستوى التطبيقي عبر التركيز على الآليات الخطابية الأبرز التي تفعل هذه البنيات، وفي مقدمتها التأطير العدائي والشيطنة والتجريم الرمزي ثم الأمننة، وذلك بهدف إبراز الكيفية التي تتحول بها المفاهيم السابقة إلى ممارسات لغوية وإعلامية متكررة.

الفرع الأول: التأطير العدائي والأمننة

يشتغل التأطير العدائي (Hostile Framing) بوصفه آلية لإعادة ترميز الواقع أكثر مما هو وصف حيادي للعداء. وبتعبير روبرت إنتمان، يقوم التأطير على انتقاء بعض الأوجه من واقع مدرك وإضفاء قدر من البروز عليها بما يعزز تعريفا للمشكلة، وتفسيرا سببيا لها، وتقييما أخلاقيا، و/أو توصية علاجية بخصوصها.[1] ويعاد في المرحلة التالية تأويل سلوك الخصم عبر إسناد السببية والنية العدائية على نحو يُضيق هوامش القراءة البديلة.[2] ثم يتكثف الترميز المعياري (Moral Coding) الذي يرسخ تصورا أخلاقيا سلبيا للخصم عبر نسب دوافع منحرفة أو نوايا سيئة إليه، بما ينتج فاعلا لا يُحترم أخلاقيا ويصبح هدفا مشروعا للرد أو للعقاب.[3]

في الحالة التي تهمنا، لا تسجل وسائل الإعلام الجزائرية "وجود خلاف مع المغرب" فحسب، بل تنتج إطارا قارا يجعل المغرب، بصورة شبه تلقائية، مرادفا للتهديد والخيانة والعمالة والتآمر. ويمكن اختزال منطق هذا الإطار في أربع حركات/عمليات[4] مترابطة:

أولا، انتقاء دلالي يركز على وقائع معينة (التطبيع المغربي–الإسرائيلي، تحركات المغرب في إفريقيا، مواقفه من قضية الصحراء...)، مع كبت وإخفاء شبه كامل للوقائع التي قد تعقد الصورة وتمنحها بعدا إيجابيا، مثل ذاكرة التضامن المشتركة، وملفات التعاون الممكنة، والأدوار الإيجابية للمغرب إقليميا ودوليا، والمشتركات البنيوية. ثانيا، إسناد سببية ونية عدائية لكل فعل

[1] Entman, Robert M. "Framing: Toward Clarification of a Fractured Paradigm." Journal of Communication, vol. 43, no. 4, 1993, pp. 51–58, p. 52.

[2] Jervis, Robert. Perception and Misperception in International Politics. Princeton University Press, 2017, p. 33.

[3] Goffman, Erving. Frame Analysis: An Essay on the Organization of Experience. Northeastern University Press, 1986, p. 22

[4] Ibid. p. 22.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

مغربي؛ أي إن كل خطوة مغربية تقرأ باعتبارها جزءا من "مخطط لمحاصرة الجزائر" أو "التآمر عليها"، لا باعتبارها خيارا سياديا في بيئة تنافسية. ثالثا، ترميز أخلاقي سلبي؛ بحيث يُنسب للمغرب "البيع في قضايا سياسية مصيرية" و"التفريط في الحقوق" و"خيانة القضايا القومية"، بشكل يحوله إلى فاعل فاقد للاحترام، ومن ثم يصبح هدفا مشروعا للعقاب والإذلال الرمزي. رابعا، تمكين سياسات استثنائية(Policy Enablement) ، أي حين تتكرس الصورة السابقة، يصبح الانتقال من الخطاب إلى إجراءات عملية عقابية من قبيل إغلاق الحدود وقطع العلاقات ومنع الطيران وقطع أنبوب الغاز والرفع في الإنفاق العسكري... خطوة تبدو منسجمة مع "حماية الأمن القومي" وليست مجالا مفتوحا للنقاش العمومي.

ويتقاطع التأطير العدائي مع منطق الأمننة (Securitisation) كما بلورته مدرسة كوبنهاغن. وتعرف الأمننة بوصفها عملية خطابية–سياسية يعاد فيها توصيف قضية ما عبر (Speech Act)[1] على أنها تهديد وجودي بما يبرر نقلها من مجال "السياسة العادية" إلى مجال "السياسة الاستثنائية"، شريطة أن يتلقى الجمهور المستهدف هذا الادعاء بوصفه تهديدا فعليا، بما يفتح الباب أمام تدابير/وسائل غير تقليدية لمواجهته.[2] ويشرح بوزان وآخرون (الأمننة) بوصفها اللحظة التي يُنظر فيها إلى القضية باعتبارها تهديدا وجوديا يستدعي إجراءات طارئة ويبرر خطوات تقع خارج الحدود المعتادة للإجراءات السياسية.[3]

وإذا نقلنا هذه العدة المفهومية إلى الخطاب الجزائري تجاه المغرب، يتضح أن الأمر لا يتعلق بمجرد خصومة سياسية، بل بسلسلة من محاولات (الأمننة) المتتابعة. فالقضايا المتصلة بالمغرب ــ من مشروع الحكم الذاتي في الصحراء إلى التطبيع، مرورا بالتغلغل المغربي الاقتصادي والسياسي والروحي والرياضي في إفريقيا، إلى تحديث منظومات التسليح إلى بناء الموانئ الكبيرة، إلى تنويع الشراكات الاستراتيجية... ــ تقدم كلها بوصفها إشارات على "مشروع عدائي" يستهدف الجزائر في أمنها وهويتها ودورها "التحرري" في المنطقة. وهذا ما يفسر الأسلوب الذي تم التسويق به لعدة قرارات جزائرية وأبرزها قرار قطع العلاقات الدبلوماسية،[4] وتشديد إغلاق الأجواء والحدود والتجييش الإعلامي المستمر، باعتبارها ردود فعل دفاعية لا خيارات سياسية قابلة للتقييم أو المراجعة.

بذلك، لا يكتفي التأطير العدائي بإنتاج صورة سلبية عن المغرب، بل يخلق بنية إدراكية–أمنية مغلقة تجعل استمرار العداء يبدو "ضرورة دفاعية"، وتبعا لذلك تقلص أو تغلق فضاءات المناورة الدبلوماسية، عبر تحويل الخلافات السياسية القابلة للتسوية إلى تهديدات وجودية معلقة على الدوام، وتجميد إمكانية التفكير في التفاوض أو إعادة بناء الثقة.

---

[1] مفهوم (Speech Act) مأخوذ من نظرية أفعال الكلام عند أوستن وسيرل، ويعني أن القول ليس مجرد وصف لواقع، بل قد يكون فعلا يُنشئ واقعا جديدا. بمعنى عندما يقول فاعل سياسي: "هذه القضية تهديد وجودي"، فهو لا يصف خطرا فحسب، بل يسعى إلى تحويل القضية إلى ملف أمني يبرر إجراءات استثنائية. راجع: Searle, John R. Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language. Cambridge: Cambridge University Press, 1969.

[2] عادل عنتر علي، "نظريات الأمننة في مجال العلاقات الدولية: من مدرسة كوبنهاغن ونحو نظرية اتصالية مقترحة لدراسة الأمننة"، مجلة كلية السياسة والاقتصاد، جامعة الإسكندرية، المجلد 15، العدد 14 (أبريل 2022): 570–571.

[3] Buzan, Barry, Ole Wæver, and Jaap de Wilde. Security: A New Framework for Analysis. Lynne Rienner Publishers, 1998, p. 23.

[4] وفق تصريح وزير الخارجية الجزائري رمطان لعمامرة، استند قرار قطع العلاقات مع المغرب إلى "تراكم أعمال عدائية" من بينها: دعم الرباط المعلن لحق منطقة القبائل في تقرير المصير، واتهامات باستخدام برامج تجسس تستهدف مسؤولين جزائريين، والتقارب المغربي–الإسرائيلي وما رافقه من تصريحات اعتبرتها الجزائر موجهة ضدها، فضلا عن حملات إعلامية وسياسية تصور كمس بالأمن القومي ووحدة التراب الجزائري. النص الكامل للبلاغ على موقع وزارة الشؤون الخارجية الجزائرية الرسمي (mfa.gov.dz)

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

ومن المهم التذكير في ختام هذه الفقرة أن تثبيت العداء لم يعد حكرا على الخطاب التقليدي، بل بات يتغذى بوضوح من الوسائط الرقمية وتقنيات الذكاء الاصطناعي ضمن ما يعرف بحرب المعلومات والحرب النفسية السيبرانية وحروب البروباغاندا. فقد أصبحت خوارزميات المنصات، والأخبار الزائفة(Fake News) ، والمحتوى الموجه، وتقنيات التزييف العميق (Deepfakes)أدوات فاعلة في إعادة إنتاج السرديات العدائية وتسريع انتشارها عبر الحدود. ولا تقتصر وظيفة هذه الأدوات على نقل الرسائل، بل تعمل على تضخيم الانفعال، وصناعة انطباعات زائفة بالانتشار والإجماع، وإرباك عمليات التحقق وخلق تشويش معلوماتي مقصود، وترويج الإشاعة على الطريقة (الغوبلزية)[1] بالإصرار على الكذب حتى يترسخ في ذهن الناس.

وقد تجلت هذه الممارسات بوضوح قبل موعد كأس إفريقيا للأمم 2025، ولا سيما قبيل المباراة النهائية، حيث جرى تجييش قطاعات من الجماهير الإفريقية رقميا لتقبل سردية حصول المنتخب المغربي على اللقب عبر "رشوة الحكام". وتم ذلك عبر شبكات واسعة من الحسابات المزيفة ومقاطع فيديو مفبركة، أثبتت القرائن ارتباط مصادرها بالبيئة الرقمية الجزائرية[2]. وقد ساهم منطق "اقتصاد الانتباه الرقمي"، القائم على تعظيم المشاهدات وجني العائدات الإعلانية، في مضاعفة وتيرة نشر هذا المحتوى المزيف والمحرف، مستثمرا الانفعالات الشعبية وملبيا رغبة بعض المتلقين في استهلاك روايات تشفي نزعات الشماتة والعداء.

الفرع الثاني: الشيطنة والتجريم الرمزي

تمثل الشيطنة (Demonization) آلية خطابية تحول الخصم السياسي إلى "آخر" غير شرعي وغير قابل للمساكنة، عبر تبسيط الواقع في ثنائية "نحن/هم" وشحنها بمعان قيمية وأخلاقية. وبمعنى أدق، تقوم الشيطنة على تعزيز بناء رمزي للواقع قائم على تبسيط مفهومي من نوع بطل/خصم، حيث يُقدم "الآخر الخصم" ككيان غير مقبول ثقافيا ودوني أو محتقر فعليا.[3] وفي المقابل، يتم تقديس الذات الجماعية عبر رفع "نحن" إلى مرتبة معيارية ورسالية عليا، بشكل يولد حالة من "غلق الصفوف" ويضعف إمكانات النقد أو المراجعة. وتتجاوز الشيطنة الخصومة السياسية نحو نزع الإنسانية عن "الآخر" من خلال العنف اللفظي، منتجة استقطابا قسريا يقوم على سردية "نحن/هم".[4]

ويستثمر الخطاب العدائي الجزائري بشكل "هوسي" هذه الآلية لتقديم المغرب كفاعل "شرير بطبيعته"؛ أي إن نواياه مُضرة مع سبق الإصرار والترصد، وأفعاله مؤولة مسبقا على أنها ضد الجزائر، لدرجة يختفي في ثناياها الفارق بين الخيارات السيادية والاجتهادات السياسية من جهة، وبين الخيانة والتطبيع والغدر من جهة ثانية. ومن هذا المنظور يتم اختزال المغرب في صورة ومعجم "جار السوء" و"العدو الكلاسيكي" و"المطبع الخائن"، و"المهدد للاستقرار الإقليمي" و"المتعاون مع قوى معادية"، إلخ. بل يأخذ هذا المسار أحيانا شكلا مبالغا من الفجور في الخصومة والإساءة المنهجة والعنف الرمزي من خلال توظيف الإشاعة والتأويل العدائي للأحداث العابرة لتعزيز خطاب الكراهية. ومثال ذلك، ترويج اتهام المغرب بتحمل مسؤولية ما عُرف بـــ"العشرية السوداء" في الجزائر، ونسب الإعلام الجزائري حرائق الغابات التي شهدتها ولايات جزائرية في صيف 2021 إلى "مؤامرة مغربية"

---

[1] نسبة إلى جوزيف غوبلز وزير الدعاية في الدولة النازية

[2] منصة "إكس" تفضح دون قصد حملة تضليل جزائرية ضد المغرب، *ميدل إيست أونلاين*، الثلاثاء 25 نوفمبر 2025، متاح على الرابط: https://www.middle-east-online.com إكس-تفضح-دون-قصد-حملة-تضليل-جزائرية-ضد-المغرب. تاريخ الاطلاع: 20 فبراير 2026.

[3] Romero-Rodríguez, Luis M., Bárbara Castillo-Abdul, and Pedro Cuesta-Valiño. "The Process of the Transfer of Hate Speech to Demonization and Social Polarization." Politics and Governance, vol. 11, no. 2, 2023, pp. 110–111

[4] Ibid., p.111.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

دون تقديم سند تقني أو قضائي، في مثال نموذجي على التأطير العدائي عبر الإسناد السببي(causal attribution) ، أي إسناد الضرر إلى الفاعل المكروه مسبقا.

وهناك أمثلة أخرى تقترب من الهلوسة من قبيل تحويل اتجاه السحب الممطرة نحو المغرب، وتحويل سيول مياه الأمطار الحدودية إلى السدود المغربية. وبذلك يتحول حدث طبيعي/تقني إلى "دليل" على نية الأذى، وهو الأمر الذي يعمق سردية "العدو الذي لا ترمش له عين من أجل إلحاق الأذى بنا".

في مثال آخر أكثر تجريحا وجرأة، يتم استهداف المؤسسة الملكية باعتبارها حاملا لشرعية دينية في المخيال المغربي (صفة أمير المؤمنين) عبر رسومات كاريكاتورية ومواد إعلامية تنزع عنها الاحترام وتسقط عليها دلالات تحقيرية.[1] وتتصاعد وتيرة هذه الشيطنة وتتوسع كلما انفجر ملف فضائحي، حيث يتزايد نشاط الفبركة عبر الفوتوشوب وتطبيقات الذكاء الاصطناعي لإقحام رموز وطنية مغربية في تلك القضايا، كما حدث في ملف شبكة إبستاين. ويستند هذا النمط من الشيطنة إلى مخزون رمزي أعمق، يقوم على ثنائية الخير والشر، أو الملاك والشيطان، بما تحمله هذه الاستعارات من دلالات دينية وأخلاقية راسخة في الثقافة الإسلامية وفي التمثلات الشعبية. ومن شأن هذا التأطير الثنائي أن يعزز منطق القطيعة، ويضيق أفق الحوار، ويشحن المشاعر الجماعية، بل يؤججها.

وإلى جانب آلية الشيطنة، يستخدم في هذا العداء ما يعرف بـــالتجريم الرمزي(Symbolic Criminalization) ، وهو آلية خطابية–معيارية يعاد عبرها تعريف الفاعل الدولي من موقع "خصم سياسي" إلى موقع "فاعل منحرف معياريا"، عبر إلصاق صفة الجرم وانتهاك القانون أو الأخلاق الجماعية دون المرور بمسار تجريم قضائي فعلي، بما يؤدي إلى نزع الشرعية عنه وإضعاف موقعه التفاوضي أمام الأطراف الأخرى وإغلاق مساحات الاعتراف والتسوية معه.[2] ويرتكز هذا المفهوم على منطق الوصم (Stigmatisation) عند بيكر. هذا الأخير يبين أن الانحراف ليس خاصية في الفعل ذاته، بل هو نتيجة لتطبيق قواعد وعقوبات من قبل آخرين على الفاعل، لا خاصية ملازمة للفعل نفسه.[3] أي إن الفاعل يُعرف كمنحرف حين يطبق عليه تصنيف الجرم من قبل الجماعة المرجعية. ويضيف غوفمان أن الوصم يحول صفة ما إلى خاصية محطمة للمكانة على نحو عميق، وتحدث فجوة بين الهوية الاجتماعية المتوقعة والهوية الاجتماعية الفعلية،[4] أي فجوة تبرر معاملة الفاعل ككيان منقوص المكانة والشرعية.[5]

وانطلاقا من ذلك، يصبح التجريم الرمزي في العلاقات الدولية توسيعا لهذه الآليات: استخدام لغة "الإرهاب"، و"خرق القانون الدولي"، و"الدولة المارقة" لإخراج دولة ما من دائرة "السلوك الدولي الطبيعي" وتخفيف التعاطف معها. وقد أظهرت دراسة لقناة بريطانية أن هذه العملية — أي التجريم الرمزي– تدرج الفاعلين في أنماط تغطية إخبارية للجريمة تضخم المخاوف العامة وتروج لزيادة قدرة الدولة كحل للجريمة.[6]

---

[1] "دمية على شكل الملك محمد السادس في برنامج جزائري ساخر تثير غضبا مغربيا"، مقطع فيديو إخباري، BBC News عربي، منشور في 15 فبراير 2021، متاح على https://www.youtube.com/watch?v=7T5x0aiw7ao، تاريخ الاطلاع: 25 يناير 2026.

[2] Becker, Howard. *Outsiders: Studies in the Sociology of Deviance*. Free Press, 1963, p. 9

[3] Ibid., p. 9.

[4] Goffman, Erving. *Stigma: Notes on the Management of Spoiled Identity*. Prentice-Hall, 1963, p. 3.

[5] Ibid. p. 3.

[6] Wayne, Mike, Lesley Henderson, Craig Murray, and Julian Petley. "Television News and the Symbolic Criminalisation of Young People." 2015.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

وتبرز هذه الآلية في الحالة المغربية–الجزائرية عندما تستخدم الاتهامات المتكررة للمغرب بدعم انفصال إقليم القبايل أو انتهاك حدود الجوار وحسن الجوار أو الارتهان لأجندات خارجية او التجسس بواسطة البرنامج الإسرائيلي بيجاسوس[1]...، كآليات لتجريم رمزية تعيد تأطير الطرف الآخر كـــ"كيان مخطئ معياريا" لا كشريك نزاع.

ويتجلى هذا المنحى العدائي بصورة أوضح في الإعلام الرسمي الجزائري، في ظل تساهل ملحوظ يتنافى مع أبسط قواعد وأخلاقيات المهنة؛ إذ يُفسَح المجال، بل يُشجع أحيانا، لبعض الإعلاميين والصحفيين، وحتى المؤثرين على منصات التواصل الاجتماعي، على توظيف قاموس سوقي ومبتذل في توصيف المغاربة ورموز المملكة داخل بعض البرامج الإذاعية والتلفزية، وعبر إنتاج تقارير متطابقة الصياغة والصورة حول المغرب يتم بثها على العديد من القنوات في الوقت نفسه، بما يوحي بأن المادة الإعلامية تصدر عن مصدر مركزي، وتُدار ضمن خط تحريري موحد؛ وهو ما يقوي فرضية وجود تداخل وظيفي بين الجهاز الإعلامي الجزائري وبعض الأجهزة الأمنية والاستخباراتية في إنتاج سردية عدائية ذات طابع رسمي.

ولا يقف التجريم الرمزي عند النظام السياسي، بل يمتد ليشمل المجتمع والثقافة والمرأة والتاريخ والتراث والاقتصاد؛ من خلال اختزال المغرب في صورة "مملكة الرذيلة" و"مجتمع السحر والسحرة"، أو "بلد الدعارة والسياحة الجنسية"، أو "مملكة مراكش"، أو "مملكة ليوطي" و"شعب الراكعين" و"بواسين اليدين" و"نساء حقول الفراولة الاسبانية". بل يتجاوز الأمر حدود النقد السياسي إلى تمرير تقرير على قناة تلفزية رسمية يروج لادعاء مفاده أن "السلطان المغربي باع سبتة ومليلية مقابل دراجة هوائية"، وهو طرح يفتقر إلى الحد الأدنى من الرصانة التاريخية. بل إن بعض القنوات الفضائية تسمح بتمرير أي عبارات من شأنها استفزاز المغاربة صراحة، ولو اتسمت بالسخف والابتذال. فقد صرح مثلا أحد "المحللين السياسيين" على قناة جزائرية رسمية بأن الجزائر قادرة على "احتلال المغرب في ظرف ساعتين، وبطواقم الوقاية المدنية فقط"، كما أعلن أحد المعلقين الرياضيين أنه يشجّع "والو" ضد المنتخب المغربي، أي إنه "ضد المغرب ولو لعب ضد لا شيء". وتعكس هذه التصريحات انزياح الخطاب من حقل الجدل السياسي إلى فضاء الاستفزاز الرمزي والتعبئة الانفعالية، الأمر الذي يحّل العداء من موقف ظرفي قابل للمراجعة إلى اصطفاف هوياتي مطلق، منفصل عن طبيعة الخصم أو سياق المنافسة.

وفي السياق نفسه، تُقدم بعض الأخبار المرتبطة بالمغرب ضمن معالجات إعلامية يغلب عليها طابع التشفي أو التهكم؛ كما في تغطية زلزال الحوز، حيث جرى توصيف المغرب بـــ"مملكة الطوب" في إشارة إلى المساكن القروية المشيدة بالتراب المحلي، وكذلك في تناول أحداث "فيضانات القصر الكبير" أو حتى في التعاطي مع الحالة الصحية للملك. هذا فضلا عن تغطيات أخرى تهم بعض محطات ملف ترشح المغرب لتنظيم كأس العالم، حيث يتم تحويل الإخفاق الرياضي إلى لحظة انتشاء جماعي وانتصار رمزي على "خصم". في المقابل يتم حجب وتجاهل النجاحات الدولية اللاحقة، ومن بينها نيل شرف تنظيم كأس العالم 2030 إلى جانب إسبانيا والبرتغال. ويمتد هذا الخطاب الساخر أيضا إلى الاقتصاد بحيث يُقلب التفوق المغربي كأول بلد إفريقي في صناعة السيارات إلى مجرد "نافخ عجلات"، وصناعة أجزاء الطائرات إلى "وهم مخزني"، إلخ.

كما يمتد هذا المنطق إلى مجال السياسة الخارجية، حيث تتجسد هندسة العداء، في مناسبات عديدة، في الاستهزاء من اعتراف الرئيس ترامب بمغربية الصحراء ووصفها بمجرد "تدوينة طائشة" على موقع إكس، وفي دعم مواقف أو أطراف مناوئة للمغرب من خلال انتهاز حالات التوتر لتوسيع هوة الخلاف وتضخيم السجالات عبر نشاط مكثف في الفضاء الرقمي للذباب الإلكتروني الجزائري. وقد برز هذا المنحى في محطات كثيرة أبرزها أزمة جزيرة ليلى سنة 2002 وما رافقها من خطاب رسمي وشعبي

[1] "الجزائر تستغل مزاعم التجسس المغرضة..."، خبر صحفي، موقع هسبريس الإلكتروني، منشور في 23 يوليوز 2021، متاح على الرابط: https://www.hespress.com/الجزائر-تستغل-مزاعم-التجسس-المغرضة-لل-html.853300، تاريخ الاطلاع: 25 يناير 2026.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

جزائري يتهم المغرب بـــ "النزوع التوسعي".[1] وكذلك في الدعم السياسي والدبلوماسي والعسكري المتواصل لجبهة البوليساريو، مع جعل ملف الصحراء في الخطاب الإعلامي "قضية الشعب الجزائري" الأولى، بما يضفي على الصراع بعدا تعبويا داخليا داعما لنهج النظام، يبرر المستويات المرتفعة من الإنفاق الدفاعي ويساهم في استدامة خطاب العداء تحت عنوان "النضال التحرري". هذا فضلا عن ممارسات حديثة ذات طابع عدائي وتحريضي، تتمثل في دعم أطراف توصف بالانفصالية، وتوفير منصات إعلامية للترويج لأطروحات تدعو إلى استقلال منطقة الريف المغربي. وتظهر هذه الأمثلة انتقال الخطاب من مستوى الخلاف حول السياسات العمومية إلى مستوى ذي طابع وجودي يدفع بالنزاع من كونه خلافا بين دولتين إلى تمثلات أوسع تتضمن ازدراء معمما للمجتمع المغربي. كما تسهم الآليات الثلاث في بناء ما يمكن تسميته هنا بـــ"هندسة الكراهية"، أي تحويل العداء من حالة انفعالية ظرفية إلى بنية خطابية ولغوية ورمزية قابلة للتكرار في الإعلام، وقابلة للترسيخ في المخيال الجماعي.

ولاستجلاء هذه الآليات، سيتم الاستعانة بمجموعة من المفاهيم والأدوات المركزية في علم النفس السياسي الدولي وسيكولوجيا الجماعات، مع توظيف مفاهيم تكميلية وتفسيرية لإضاءة بعض أبعاد العداء الجماعي وتعميق فهم آلياته.

المطلب الثالث: سيكولوجيا العداء الجماعي

بعد تحليل البنية التاريخية والآليات الخطابية، يركز هذا المطلب على البعد السيكولوجي–الجماعي للعداء؛ أي على الكيفية التي تتحول بها هذه الخطابات إلى حالات وجدانية وتمثلات مستقرة داخل الجماعة السياسية. ولتحقيق ذلك، سيتم توظيف مفاهيم الذعر الأخلاقي والبارانويا السياسية والعواطف الجماعية والهوية السلبية، والمرآة المكسورة، والتمثلات الاجتماعية.

الفرع الأول: الذعر الأخلاقي والبارانويا السياسية

تعد مفاهيم (الذعر الأخلاقي Moral Panic) والأسلوب البارانوي في السياسة (Paranoid Style in politics) من الأدوات المفيدة لفهم ما يتجاوز مستوى الخطاب المعلن نحو مستوى البنى النفسية–الجماعية. ويعرف ستانلي كوهين (الذعر الأخلاقي)[2] بأنه حدث تقع فيه استجابة المجتمع لحالة أو واقعة أو شخص أو جماعة يعرفون بوصفهم تهديدا لقيمه أو معتقداته الأساسية، مع استجابة غير متناسبة مع الحجم الفعلي للتهديد، ويطلق على هؤلاء اسم شياطين الشعب/ أكباش الفداء. ووفقا لغود وبن–يهودا يتكون الذعر الأخلاقي من خمس سمات: قلق تثيره تغطية إعلامية أو رسمية، وعدائية يوصم فيها

[1] "الموقف الجزائري غريب لكنه براغماتي"، مقال تحليلي، موقع Swissinfo (الخدمة العربية)، جنيف، متاح على الرابط: https://www.swissinfo.ch/ara/.../...، منشور بتاريخ 26 يوليوز 2002. تاريخ الاطلاع: 25 يناير 2026.

[2] وفقا لستانلي كوهين يتحقق «الذعر الأخلاقي» عندما "تعرف حالة أو واقعة أو شخص أو مجموعة أشخاص بوصفها تهديدا للقيم والمصالح المجتمعية". يشير عالم الاجتماع أيضا إلى أن كل ذعر أخلاقي يتضمن فاعلين رئيسيين: "رواد الأخلاق" (moral entrepreneurs) وهم من يطلقون دينامية التنديد الجماعي، و"أكباش الفداء" (folk devils) وهم الأشخاص أو الفئات التي تصبح موضوعا للاتهام والعقاب الرمزي. لمزيد من المعلومات راجع:

Cohen, Stanley. Folk Devils and Moral Panics: The Creation of the Mods and Rockers. 3rd ed., Routledge, 2002. Introduction, pp. vii–xxxvii.
https://dam.ukdataservice.ac.uk/media/355703/folkdevilsintrotothirdedition.pdf

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

الفاعل بوصفه منحرفا أو "شيطان الشعب"،[1] وتوافق ظاهري يجعل المجتمع يتحدث بصوت واحد، وعدم تناسب يبالغ في حجم التهديد، وتقلب تتصاعد فيه التغطية بسرعة ثم تخفت بالسرعة نفسها.[2]

ويمكن رصد هذه التمظهرات في السياق الجزائري عند تقديم بعض اختيارات المغرب مثل امتلاك المغرب لأقمار اصطناعية، أو الانفتاح على إسرائيل في إطار اتفاقات سياسية–أمنية، أو تعزيز الحضور في إفريقيا وفي أمريكا اللاتينية، أو تنويع التحالفات الدولية مع روسيا والصين، على أنها تهديد أخلاقي–وجودي، لا مجرد خيارات سيادية لدولة أخرى. وتتحول هذه الخيارات إلى موضوع ذعر أخلاقي؛ بحيث يتم تأويل تطبيع المغرب بخيانة، والاستثمار في إفريقيا بـــ"تطويق الجزائر"، والتحالفات بـــ"نسج المؤامرات". هذا الانزياح من وصف الوقائع إلى شيطنتها يؤشر على ذعر أخلاقي مستمر.

وفي مثال ملموس على ذلك، لم يقدم التطبيع المغربي–الإسرائيلي، في بلاغ قطع العلاقات الدبلوماسية للجزائر مع المغرب (24 غشت 2021)، كمسألة دبلوماسية عادية، بل جرى تأطيره كعامل يمس الأمن القومي الجزائري، خاصة بعد تصريحات وزير الخارجية الإسرائيلي يائير لابيد من الرباط حول "قلق إسرائيل من الدور الجزائري". وينسحب منطق التأطير نفسه على حالات أخرى، من بينها توظيف ملف حرائق الغابات ضمن خطاب يحيل إلى تهديدات خارجية، ويحول حدثا اعتياديا إلى تهديد وجودي؛ وهو ما يعكس توظيفا لآليات الذعر الأخلاقي من أجل حشد المواقف الداخلية وتبرير قرار القطيعة.

ويتقاطع هذا الذعر الأخلاقي مع الأسلوب البارانوي في السياسة(Paranoid Style in Politics) ، وهو مفهوم يوفر مدخلا تحليليا لفهم بعض أبعاد سيكولوجيا العداء الجماعي في الخطاب السياسي والإعلامي. ويشير هذا الأسلوب، عند هوفستادتر، إلى نمط في الرؤية والتعبير لا يجد توصيفا أدق من كونه قائما على المبالغة الحادة، والارتياب المزمن، واستدعاء الخيال التآمري.[3] وبذلك يُقرأ الواقع من خلال تضخيم التهديد وافتراض وجود مؤامرة دائمة تحركه.

ويؤكد هوفستادتر أن استعماله للمصطلح ليس تشخيصا مرضيا بل توصيفا لنمط إدراكي–خطابي، حين يوضح أنه لا يتحدث بالمعنى السريري، بل يستعير مصطلحا سريريا لأغراض أخرى،[4] بطريقة تسمح بنقل التحليل من حقل المرض إلى حقل تمثلات السياسة وصناعة الصورة. في هذا الإطار، يعاد تفسير كل سياسات المغرب ضمن سردية مؤامراتية لدرجة لا يبدو أن هناك شيئا عفويا، ولا شيء طبيعيا، ولا شيء سياديا؛ بل كل شيء يتجه، في النهاية نحو الإضرار بالجزائر. وهكذا تتكون بارانويا سياسية تحول السياسة إلى فضاء للريبة المطلقة وتجعل الحوار صعبا، لأن الطرف الآخر يُرى كخصم لا يمكن الوثوق به تحت أي ظرف.

وممّا يعزز هذا التصور تداول بعض الأوصاف في الخطاب الشعبي المغربي، ولا سيما على منصات التواصل الاجتماعي، منذ سنوات، من قبيل توصيف الجزائر بأنها "مارستان كبير" أو "مستشفى أمراض عقلية مفتوح على السماء" أو "زريبة". كما يُعد التعبير الأكثر شيوعا بين بعض المغاربة، الدال على هذا المعنى، قولهم "عشرة في عقل"، في إحالة ساخرة إلى ما يُنظر إليه بوصفه خللا في تقدير الوقائع والأحداث.

---

[1] Iotti, Nathalie O., and Tomas Jungert. "The Concept of Moral Panic and Its Use in Social Psychology." *Psicologia Sociale*, no. 2, 2018, p. 165.

[2] Ibid., p. 166.

[3] Hofstadter, Richard. *The Paranoid Style in American Politics and Other Essays*. Harvard University Press, 1964, p. 3.

[4] Ibid., p. 3.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

هذه الخلفية النفسية للذعر والبارانويا تفتح المجال لفهم الدور الذي تلعبه العواطف الجماعية والهوية السلبية في تثبيت العداء كحالة شعورية مزمنة داخل المجتمع.

الفرع الثاني: العواطف الجماعية والهوية السلبية

تُظهر أدبيات العواطف الجماعية (Collective affect) أن الانفعال في النزاعات ليس حالة نفسية فردية معزولة، بل هو بناء اجتماعي جمعي يمثل المزاج أو الانفعالات المشتركة التي يعيشها أعضاء الجماعة بشكل متقاسم (...) عبر عمليات صاعدة من الأفراد إلى الجماعة وعمليات هابطة من الجماعة إلى الأفراد(...) بوصفه ظاهرة اجتماعية دينامية وتفاعلية.[1]

وفي الحالة الجزائرية–المغربية، تتحول مشاعر الغضب والارتياب والمظلومية من تجارب فردية إلى "مزاج قومي" عدائي يتجلى في التباهي بقتل مواطنين عزل على الحدود البرية والبحرية بذريعة محاربة التهريب، وكذلك في التعليق المشحون بالكراهية وبالهمز واللمز على المباريات الرياضية، وفي حملات رقمية تبخس أو تشيطن كل إنجاز مغربي، وفي تفسير الأزمات الداخلية عبر إسقاطها على المغرب بوصفه سببا أو شماعة. ثم يعاد تدوير هذا المزاج عبر الإعلام والسياسة فيما يشبه "اقتصادا انفعاليا سياسيا" تستثمر فيه العواطف كموارد لضبط السلوك الجمعي، بطريقة تؤثر مباشرة في اتجاهات الأعضاء، ومستوى التعاون أو النزاع وصنع القرار وفعالية الجماعة.[2]

داخل هذا الاقتصاد، يتداخل بل يتزاوج المستوى الانفعالي مع مستوى الهوية؛ حيث تعرف "الهوية السلبية" (Negative Identity) الجماعة من موقع الرفض لا من موقع مشروع إيجابي للذات. ويوضح كوهين ذلك حين يصفها بأنها حالة يعرف فيها الشخص أو الجماعة أنفسهم من خلال التمايز عن الآخرين، سواء بصورة ضمنية أو صريحة.[3] وتضيف ليونغ وصفا آخر، معتبرة أنها هوية تتسم باللامبالاة أو النفور تجاه شيء تعتبره غالبية المجتمع أمرا أساسيا.[4] أما هيهارا، فترى أنها تتشكل عبر التماهي مع أدوار تتعارض مع توقعات المجتمع ومعاييره السائدة.[5]

هكذا إذن تبنى "نحن" الجزائرية، في جزء من الخطاب، على نحو تقابلي مع نموذج مغربي مؤطر سلبا (الملكية/الجمهورية، التطبيع/الممانعة، النيف/الخنوع، التحالفات الإقليمية المشبوهة، والنموذج السياحي–الليبرالي...). ويتجلى هذا المنطق في شعارات متداولة من قبيل "بلاد الشوهادا"، و"قولو لفرنسا ماناش مراركة"، و"لسنا مطبعين كيما المغرب"...، حيث يتحول المغرب إلى مرجع نفي تثبت عبره نقاء الذات. ويترتب عن ذلك ارتفاع كلفة أي تقارب محتمل، لأن التراجع عن خطاب العداء لا يمس

[1] Prabhu, Navin Raj, et al. "Dynamics of Collective Group Affect: Group-level Annotations and the Multimodal Modeling of Convergence and Divergence." arXiv:2409.08578 (2024), p. 1.

[2] Ibid., p. 1.

[3] Cohen, Jonathan R. "Negative Identity and Conflict." *Ohio State Journal on Dispute Resolution*, vol. 35, no. 5, 2020, pp. 737–752.

[4] Leong, Nancy. "Negative Identity." Southern California Law Review, vol. 88, 2015, pp. 1357–1415.

[5] Hihara, Shogo, Kazumi Sugimura, and Moin Syed. "Forming a Negative Identity in Contemporary Society." *Identity*, 2018.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

سياسة ظرفية فحسب، بل يطال رواية وهوية مكتملتين. وهو ما يحذر منه كوهين حين يؤكد أن الهويات السلبية قد تجعل نشوب النزاعات أكثر احتمالا، كما قد تجعل هذه النزاعات أكثر صعوبة في الحل حين تقع.[1]

وعلى المستوى الأعمق، تفسر "متلازمة المرآة المكسورة" والنرجسية الجماعية و"متلازمة الخشخاش الطويل" الكيفية التي يعاد بها توجيه الجرح الداخلي نحو الخارج، ثم تحويل هذه الانفعالات إلى تمثلات اجتماعية مستقرة عن المغرب كعدو معياري. ومع ذلك، ينبغي التأكيد على أن هذه المتلازمات تُستحضر هنا في إطار تفسيري ينتمي إلى علم النفس الاجتماعي والسياسي، لا بوصفها أحكاما تشخيصية ذات طابع سريري.

وتدل "متلازمة المرآة المكسورة" (The Broken Mirror Syndrome) على اختلال في استبطان الذات عقب صدمة نفسية، حيث تتشوه الصورة الداخلية للفرد، ويستدخل الخطاب السلبي للمعتدي، فتتكرس أنماط من النقد الذاتي التدميري والدونية والهشاشة الانفعالية المصحوبة بقلق واكتئاب وقابلية متزايدة للإيحاء.[2] وتسمح هذه المتلازمة بقراءة بعض عناصر الخطاب الجزائري، من قبيل المبالغة في تصور المؤامرات، والحساسية المفرطة تجاه نجاحات المغاربة، وتحميل المغرب مسؤولية إخفاقات داخلية بوصفها إسقاطا لجراح شرعية وتاريخية غير محسومة على "مرآة" خارجية هي المغرب. ويتجسد ذلك في بعض التمثلات التي تُبرز شعورا بالغيرة أو بالدونية تجاه التاريخ الإمبراطوري للمملكة المغربية، مقابل استحضار التجربة الاستعمارية الطويلة التي طبعت التاريخ الجزائري الحديث. فضلا عن استمرار ما يوصف بأزمة الهوية الجزائرية، التي تناولها بالدرس والتحليل عدد من الباحثين والمؤرخين الجزائريين، من بينهم بلغيث وصنصال وبوكروح؛ إذ يذهب هذا الأخير إلى أن النظام في الجزائر يسعى إلى بناء شرعية لدولة تشكلت، بحسب تعبيره، عبر "هجرة غير شرعية في التاريخ"، معتبرا أن الحفاظ على الذاكرة التاريخية يشكل التحدي الأكبر لوجودها الرمزي والسياسي.[3]

في المقابل، تعكس النرجسية الجماعية (Collective Narcissism) مفارقة ذات متضخمة ومجروحة في نفس الآن، ترتجف عند كل اعتراف خارجي بإنجاز مغربي وتقرؤه كتهديد لمكانتها. إنها اعتقاد بأن الجماعة الداخلية استثنائية، وأنها تستحق معاملة مميزة، لكنها لا تحظى بالاعتراف الكافي من الآخرين.[4] ويترافق ذلك مع ارتباط "الرضا عن الجماعة" بعاطفية إيجابية وفعالية أعلى.[5] ولعل من أبرز ما يُستدل به على ما يمكن وصفه بنزعةٍ نرجسية وتضخم في الأنا في الخطاب الجزائري بعض تصريحات الرئيس تبون من قبيل "الجزائر قوة ضاربة"، و"اقتصاد الجزائر هو الثالث في العالم"، و"الجزائر أصبحت عضوا في مجموعة العشرين"، و"الجزائر تطمح لتحلية مليار و200 مليون متر مكعب يوميا". أو الإشارات التاريخية غير الدقيقة، من قبيل الادعاء بأن "جورج واشنطن أهدى أسلحة للأمير عبد القادر"، و"أن الجزائر كانت وراء إدخال الصين إلى الأمم المتحدة"، أو الترويج لفكرة "الجزائر مكة الثوار" بوصفها مركزا عالميا لتدريب وتكوين المناضلين والمقاومين من إفريقيا وأوروبا، فضلا عن غيرها من التصريحات التي لم تتبع أبدا بتصحيحات أو اعتذارات. بل إن أحد المؤرخين المحسوبين على النظام إدعى –فيما يشبه

---

[1] Cohen, op.cit.

[2] Petric, Domina. "The Broken Mirror Syndrome vs. Constructive Self-Criticism."

[3] "النظام الجزائري يجد صعوبة في صنع «هوية تاريخية بتزوير الحقائق»"، مقال منشور على موقع Algeria Times في 6 يناير 2025، متاح على الرابط: https://algeriatimes.net/detail/view/70472، تاريخ الاطلاع: 25 يناير 2026.

[4] Agnieszka Golec de Zavala, "Collective Narcissism and In-Group Satisfaction Are Associated with Different Emotional Profiles and Psychological Wellbeing," Personality and Social Psychology Bulletin 45, no. 5 (2019): 692–708

[5] Ibid.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

مزايدة على موقع المغرب كأول بلد اعترف باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية– أن "الدستور الأمريكي كُتب خوفا من الجزائر" التي كانت آنذاك إيالة عثمانية.

ويُضاف إلى ذلك ما يتداوله بعض العامة، بل وحتى بعض النخب، من ادعاءات واسعة الانتشار على شبكة الإنترنت، تنطوي على حمولةٍ دينية–رمزية واضحة، من قبيل: إن "الجزائر أرض الأنبياء" وموطن "أهل الكهف"، وحكاية "اللقلاق الشهيد" أو التضخيم التصاعدي لأعداد شهداء الاستعمار إلى ما يفوق خمسة ملايين شهيد، في إطار سرديات تقوم على التهويل الرمزي أكثر مما تستند إلى تدقيق تاريخي. وآخر هذه الادعاءات ما صرح به رئيس الوزراء الجزائري سيفي غريب من "أن الله تعالى اختار الجزائر وأنزل فيها الحديد لأنها أرض مباركة".[1]

كما يُؤشر الإفراط في رفع العلم الوطني وإقحامه في مناسبات متعددة، حتى في سياقات لا ترتبط مباشرة بالجزائر، إلى ميل نحو تضخيم الإيغو الجماعي وتحويل الرمز الوطني إلى أداة دائمة لإعادة تأكيد الذات. ويمكن في هذا الإطار، مقاربة بعض تمظهرات "القومية" في الخطاب الجزائري بوصفها تعبيرا عن هوية دفاعية مشحونة، تتغذى من آليات الإسقاط ومن ترسيخ تمايز حاد بين "نحن" و"الآخر". ويتوضح هذا السلوك أكثر من خلال ما يُعرف في الأدبيات السياسية بتأثير "الالتفاف حول العلم" (Rally 'round the flag effect)، حيث يُستدعى الرمز الوطني لتعزيز الاصطفاف الداخلي ورفع منسوب الدعم للسلطة، لا سيما في سياقات التوتر أو الأزمات.[2] وقد بلغ هذا السلوك مستويات لافتة، من بينها طواف بعض الحجاج الجزائريين حول الكعبة وهم يلتحفون العلم الوطني، فضلا عن مشاهد أثارت انتباه المتابعين خلال كأس العالم بقطر 2022، حين كان الجمهور الجزائري يصر على اقتحام تجمعات جماهير دول مشاركة بأعلام الجزائر، رغم عدم تأهل الجزائر إلى البطولة.

ويدفع تضخم الأنا والنرجسية الجماعية المتعطشة إلى محو كل منافس عن البروز ومحاربة كل تميز، من خلال ما يعرف بمتلازمة الخشخاش الطويل (Tall Poppy Syndrome. TPS) التي تشتغل كآلية عقابية إضافية، باعتبارها "موقفا اجتماعيا مناهضا للتميز"، قائما على "الاستياء والانتقاد والإقصاء" تجاه أصحاب الإنجاز.[3] وتتحول آثارها إلى "اقتصاد عقابي" يستهدف الوظائف المعرفية والإبداعية،[4] وفق منطق "قص الرؤوس العالية"[5] الذي يقابل فيه أي تفوق مغربي في تنظيم تظاهرة رياضية أو نجاح اقتصادي أو دبلوماسي...، بالتشكيك والتبخيس والتعتيم بل والمحو بدل التنافس أو الاقتداء.

وإذا كان تأهل المغرب إلى نصف نهائي كأس العالم بقطر 2022 قد أحدث صدى دوليا واسعا، بفعل التعاطف الكبير الذي حظي به المنتخب المغربي لكرة القدم، فإن طريقة التعاطي الإعلامي الجزائري مع هذا الإنجاز بدت كاشفة عن قدر كبير من الحرج. فقد لوحظ أن وسائل الإعلام السمعية–البصرية تجنبت، خلال مراحل متقدمة من المنافسات، الإشارة الصريحة إلى

---

[1] كلمة الوزير الأول الجزائري بمناسبة وصول أولى شحنات خام الحديد من منجم غارا جبيلات إلى وهران"، خطاب رسمي، منشور في 2 فبراير 2026، متاح على: https://www.youtube.com/watch?v=VRU8r5q6YME، تاريخ الاطلاع: 25 يناير 2026.

[2] Murray, Shoon. "The "Rally-'Round-the-Flag" Phenomenon and the Diversionary Use of Force." Oxford Research Encyclopedia of Politics. 28 Jun. 2017; Accessed 5 Feb. 2026. https://oxfordre.com/politics/view/10.1093/acrefore/9780190228637.001.0001/acrefore-9780190228637-e-518.

[3] Sanchez, Joe Ana Rose. "Effects of Tall Poppy Syndrome on Work Performance: A Multivariate Regression Analysis." *SEISENSE Business Review*, vol. 6, no. 1, 2026, pp. 1–19.

[4] Ibid.

[5] Ibid.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

انتصارات المغرب على بلجيكا وإسبانيا والبرتغال، قبل أن يتبدل الخطاب عقب خسارته أمام فرنسا، حيث مال جزء من الرأي العام إلى مساندة المنتخب الفرنسي — المستعمر السابق — في مواجهة الجار المغاربي. وتكشف هذه المفارقة، في بعدها الرمزي، صعوبة تقبل تفوق الآخر القريب حين يُقرأ النجاح في إطار المقارنة والهوية لا في إطار الإنجاز الرياضي المحض. ولا يقف هذا المنطق عند حدود التغطية الإعلامية، بل يمتد إلى المجال الرياضي ذاته، حيث تتحول بعض المنافسات إلى فضاء ممسرح للإذلال الرمزي؛ حيث سُجلت حالات متعددة لإهانة المنتخبات المغربية أثناء الاستقبال في المطارات والملاعب، عبر ترتيبات تنظيمية مهينة أو تضييقات مقصودة، بما ينقل العداء من مستوى الخطاب إلى مستوى "طقوس الإهانة" في الزمن الحي وأمام الجمهور.

وينتج عن ذلك مناخ تستثمر فيه كل مواجهة كروية يكون فيها المغرب طرفا لتأجيج المشاعر العدائية وتغذية ثنائية "نحن/هم" في الوعي الجماهيري. ويتعزز هذا المنحى بممارسات رمزية مرافقة، من بينها قطع بث النشيد الوطني المغربي أثناء عزفه، وحجب أو منع ظهور العلم الوطني المغربي وشعار المملكة وكل ما يتصل بالهوية البصرية للمملكة المغربية في بعض وسائل الإعلام الجزائرية، فضلا عن إقدام الاتحاد الجزائري لكرة القدم، إلى جانب التلفزيون العمومي الجزائري، على بث صور متعلقة بكأس أمم إفريقيا للسيدات مع حذف شعار "المغرب 24".[1] وهو الشعار الرسمي للبطولة التي استضافها المغرب.

ولا يقتصر الأمر على تسييس المجال الرياضي، بل يندرج ضمن ما يمكن وصفه بإنكار رمزي منظم يعكس صعوبة جمة في الاعتراف بحضور أو نجاح مغربي داخل فضاء قاري مشترك. ويكشف الجدل المرتبط بتفادي استعمال تسمية "كان المغرب 2025" في بعض المنابر الرسمية كيف يمكن للخطاب المؤطّر أن يصطدم بوقائع يصعب تجاوزها؛ إذ يتحول ذكر اسم البلد المنظم إلى إشكال لغوي ذي أبعاد سياسية، في وقت تنقل فيه بعض الأصوات الجزائرية في الفضاء الرقمي صورة أكثر مباشرة في تعاطيها مع الحدث. ويعكس هذا التوتر بين الخطاب الرسمي والخبرة الشعبية هشاشة السردية العدائية، حين تعجز حتى عن نطق الاسم كما هو.[2]

أبعد من ذلك، ففي الوقت الذي تميل فيه الدبلوماسية الملكية المغربية إلى التحفظ اللغوي والبروتوكولي، تسجل في المقابل تعبيرات ذات طابع تحقيري على مستويات رسمية جزائرية. ومن بين ذلك تصريح موثق للرئيس الجزائري عبد المجيد تبون وصف فيه المغرب بأنه "دولة هوك"، متبوعا بإشارة يد تفهم في سياق الازدراء. هذا النوع من النعت السياسي ينقل الخصومة من خلاف بين دولتين إلى توصيف معياري قدحي للخصم، ويسهم في إضفاء طابع رسمي على الخطاب العدائي وانتقاله من المجال الإعلامي إلى المستوى السيادي. وعندما يصدر مثل هذا التوصيف عن رأس الدولة، فإنه يقرأ بوصفه ترميزا سياسيا يمنح الشيطنة بعدا مؤسساتيا ويشجع على التعالي ويضيق هامش العودة إلى لغة الدبلوماسية التقليدية أو المجاملة البروتوكولية. بل إن منطق التنقيص والشيطنة لا يقتصر على المغرب وحده، بل يمتد أحيانا إلى دائرة أصدقائه؛ إذ لمح الرئيس عبد المجيد تبون، في أحد حواراته مع وسائل الإعلام الجزائرية، إلى دولة الإمارات العربية المتحدة واصفًا إياها بـــ"الدويلة"،[3] في تعبير يعكس اتساع نطاق الخطاب القدحي ليشمل فاعلين إقليميين آخرين خارج دائرة الخلاف المباشر.

---

[1] العرب، «حذف شعار "المغرب 24" من صور كأس أمم أفريقيا للسيدات في الإعلام الجزائري يثير الجدل»، 12/07/2025، https://www.alarab.co.uk. تم الاطلاع في 2026/01/26.

[2] بديع الحمداني، «الـــ"كان" في المغرب يضع الإعلام الجزائري الرسمي في "مأزق الإسم".. ومؤثرون جزائريون ينقلون واقعا مغايرا»، الصحيفة، 21 دجنبر 2025، https://www.assahifa.com/ الـــكان-في-المغرب-يضع-الإعلام-الجزائري.../ تم الاطلاع في 2026/01/26.

[3] الرئيس تبون: علاقاتنا مع الدول العربية أخوية باستثناء هذه الدويلة"، تصريح/مقطع فيديو إخباري، AL24news – قناة الجزائر الدولية، منشور في 8 فبراير 2026، متاح على: https://www.youtube.com/watch?v=G3FihI6E18k، تاريخ الاطلاع: 25 يناير 2026.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

ولا تقف هذه البنيات الانفعالية والهوياتية عند حدود التعبير الظرفي، بل تتجسد في تمثلات اجتماعية أكثر رسوخا. ففي ضوء ما يوضحه سيرج موسكوفيتشي، لا تُفهم التمثلات (Representations) بوصفها مجرد "آراء عن" أو "صورا لـــ"، بل "نظريات" أو "علوما جماعية قائمة بذاتها، مهمتها تأويل الواقع وبناؤه"،[1] وأنها نمط خاص من المعرفة وظيفته تشكيل السلوك والتواصل بين الأفراد.[2] بحيث تميل صورة المغرب إلى الاستقرار بوصفها عدوا معياريا داخل الوعي الجماعي وقد يفهم العداء، في هذا السياق، باعتباره جزءا من هندسة معرفية–انفعالية تسهم في تنظيم الإدراك والسلوك، وتغذية تمثلات العدو الخارجي، بشكل يزيد في تعقيد مسارات التسوية المستقبلية. ويجري ذلك، على الأرجح عبر آليات يمكن قراءتها كإعادة لتأويل مشاعر الهزيمة الداخلية في صورة نصر متوهم، وتحويل الجرأة على الندية والمواجهة الصريحة إلى انكفاء وانغلاق، واستبدال الاعتراف بالفشل بتروع إلى الهروب إلى الأمام، مع ميل إلى ترسيخ اعتداد بالنفس قائم على وهم التفوق، الأمر الذي قد يحد من إمكانات المصالحة مع الذات أولا وأيضا مع الآخر.

بهذا يكتمل تحليل بناء صورة المغرب كعدو خارجي في أبعادها التاريخية والمفاهيمية والسيكولوجية. وينتقل التحليل في المبحث الثاني من سؤال: كيف يُبنى العداء؟ إلى سؤال: لماذا يستدام؟ وما الذي يترتب عنه سياسيا وإقليميا وتمثليا؟

المبحث الثاني: وظائف العداء وآثاره الإقليمية وآفاق المصالحة

يركز هذا المبحث على تحليل الأدوار السياسية والاجتماعية التي يضطلع بها العداء تجاه المغرب داخل السياق الجزائري، كما يتناول آثاره الإقليمية في الفضاء المغاربي، وانعكاساته على تمثلات الشعبين وآفاق المصالحة وسيناريوهات المستقبل. وبذلك يشكل امتدادا تحليليا للمبحث الأول، غير أنه ينقل زاوية النظر من تفكيك آليات تشكل العداء إلى مساءلة وظائفه وكلفاته، أي من سؤال "كيف" يبنى العداء إلى سؤال "لماذا" يوظف و"بأي ثمن" يستدام.

المطلب الأول: الوظائف السياسية والاجتماعية للعداء

يبحث هذا المطلب تحديد الوظائف التي يؤديها العداء داخل بنية النظام الجزائري، من حيث إسهامه في إنتاج الشرعية السياسية والتحشيد الجماهيري وتحويل الانتباه عن الإشكالات الداخلية، كما يتناول توظيف التعالي الرمزي ورفض مبادرات التهدئة في صناعة رأسمال سياسي يتم استثماره أمام الجمهور.

الفرع الأول: الشرعنة والتحشيد وسياسة تحويل الانتباه

لا يمكن تفسير استدامة العداء الجزائري تجاه المغرب بمجرد الحديث عن "سوء نية" أو "عقلية انتقامية"؛ فهذا نمط تفسير سطحي. في المقابل، ينطلق الفهم الأكثر عمقا لهذه الحالة من فرضية أن هذا العداء مفيد ومجد سياسيا بالنسبة للنظام القائم؛ أي إنه يؤدي وظائف ملموسة في مجال الشرعية والهوية والتحشيد وتحويل الانتباه.

ففي سياق غياب أو تآكل الشرعية السياسية والقانونية للنظام، تكتسب الشرعنة (Legitimation) وظيفة مركزية، بوصفها العملية التي تبرر من خلالها السلطة السياسية ممارستها للهيمنة عبر منظومات قيمية وخطابية تهدف إلى كسب الاعتراف

[1] Emiliani, Francesca, and Augusto Palmonari. "La psychanalyse, son image et son public : Le volume à la base de la théorie des représentations sociales." Università di Bologna, Italie, 2019.
[2] Ibid.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

الطوعي للمحكومين بحقها في الحكم، بما يتجاوز الامتثال القانوني نحو القبول الأخلاقي والاجتماعي.[1] وحسب التصور الويبري، فهي عملية ثنائية المراحل تقوم، أولا، على صياغة السلطة الحاكمة لمجموعة من الادعاءات التي تبرر حقها في الحكم، وتقوم، ثانيا، على قبول هذه الادعاءات من طرف المحكومين؛ ولا يمكن الحديث عن حكم شرعي إلا عندما تتطابق مبررات السلطة مع معتقدات الخاضعين لها.[2] وضمن هذا الإطار، يسهم استدعاء عدو خارجي دائم في إعادة إنتاج سردية الدولة المؤسسة على منطق الثورة ومقارعة الاستعمار؛ فحتى بعد زوال الاستعمار في شكله الكلاسيكي، تظل سردية "المواجهة" فاعلة، تبحث عن موضوع بديل تسقط عليه وظائفها التعبوية والشرعنة المستمرة. من هذا المنظور، يتم تقديم المغرب كامتداد لمراكز قوى "معادية"، يستطيع النظام الجزائري الحفاظ على قدر من رمزيته الثورية والبطولية في الوعي العام، وأن يقدم نفسه حارسا للحدود والذاكرة والهوية في مواجهة خصم متربص.

وهنا يمكن الرجوع إلى التاريخ، حيث تشير شهادات بعض الفاعلين الجزائريين إلى أن "حرب الرمال" سنة 1963 تم استثمارها سياسيا من قبل الرئيس أحمد بن بلة لتعزيز الوحدة الوطنية والإجماع الداخلي عبر توجيه الأنظار نحو عدو خارجي بشكل ساعد على تجاوز انقسامات ما بعد الاستقلال ودمج قوى جيش التحرير وتهدئة المعارضة تحت شعار الدفاع عن الوحدة الترابية. بهذا المعنى، تحولت "حرب الرمال" إلى ما يشبه "صدمة مؤسسة" في الذاكرة السياسية؛ وساهمت الهزيمة في خلق أثر نفسي عميق وترسخت لدى أجيال من النخب فكرة "الثأر من الإذلال" الذي تعرضت له الجزائر الحديثة الاستقلال.[3]

وعلى مستوى الهوية، يسمح العدو الخارجي بتحديد الذات الوطنية بالسلب؛ أي عبر ما ليست عليه. فحين تقدم الجزائر كعكس المغرب، يصبح المغرب مرآة سلبية تعرف الذات عبر نفيها: نحن "الثوريون" و"شواكر أفريقيا" وهم الجبناء "المخزنيون"، ونحن "حماة فلسطين" وهم "مطبعون"، ونحن "متمسكون بالمبادئ" وهم "براغماتيون إلى حد الخيانة". هذا النوع من الهوية السلبية أقل كلفة نظريا من بناء هوية إيجابية متماسكة تتطلب مشروعا داخليا متماسكا.

أما على مستوى التحشيد (mobilization) كآلية لتعبئة الانفعالات والموارد الرمزية للجماعة بهدف توحيدها سياسيا وتوجيه سلوكها الجماعي، فإن حضور العدو الخارجي يوفر للنظام مادة جاهزة لإعادة لحمة الجبهة الداخلية كلما واجه احتجاجات أو أزمات اقتصادية واجتماعية.[4] وتظهر تجارب عديدة في التاريخ أن بعض الأنظمة تميل، في لحظات الهشاشة أو التوتر الداخلي، إلى خوض مواجهات رمزية أو تكثيف الخطاب الخارجي لصرف الانتباه عن الأوضاع الداخلية. ففي الفترات التي ترتفع فيها أصوات المطالبة بالإصلاح أو بمساءلة الفساد أو بتوزيع أكثر عدلا للثروة، يتم استحضار المغرب في قلب النقاش بوصفه خطرا داهما، بما يسهم في إعادة ترتيب الأولويات داخل المخيال الشعبي من قضايا الداخل إلى تهديدات الخارج. وهنا

[1] Kadirova, Sitora. "Legality, Legitimacy and Legitimation of Political Power: Theoretical Analysis." International Journal on Integrated Education, vol. 3, issue X, October 2020, p. 123.

[2] Tannenberg, Marcus et al. Regime Legitimation Strategies (RLS), 1900–2018, V-Dem Institute Working Paper No. 86, 2019, p. 6

[3] Bennis, Samir. "Algeria's Morocco Obsession Has Killed Reconciliation Prospects." Atlantic Council, May 3, 2024. Accessed January 25, 2026. https://www.atlanticcouncil.org/blogs/menasource/algeria-morocco-reconciliation-western-sahara-sahrawi-polisario-front/.

[4] Gerő, Márton; Płucienniczak, Piotr P.; Kluknavská, Alena; Navrátil, Jiří; Kanellopoulos, Kostas. "Understanding the Use of Enemy Images." Intersections. East European Journal of Society and Politics, 3(3), 2017, p. 19.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

تبرز فعالية الدعاية كأداة ضبط بديلة عن الإكراه المباشر، إذ تنتج القبول وتوجه الانفعال وتحول "التهديد الخارجي" إلى إجماع داخلي، وهو ما يلخصه تشومسكي في فكرته الشهيرة أن الدعاية بالنسبة إلى الديمقراطية هي ما تعنيه الهراوة بالنسبة إلى الدولة الشمولية.[1]

أما بخصوص سياسة أو تكتيكات الإلهاء أو تحويل الانتباه (Diversionary Politics)،[2] فهي تعمل عبر إعادة توجيه الأسئلة داخل النقاش العمومي؛ فبدل الانشغال بقضايا البطالة والريع والفساد وتردي الخدمات العمومية وأزمة مواد التموين في المواد الأساسية وظاهرة الطوابير وهجرة الشباب عبر مراكب الموت وهيمنة الجيش على مفاصل الحياة السياسية والاقتصادية وغياب الديمقراطية، تطرح أسئلة من قبيل: ماذا يفعل المغرب في إفريقيا؟ ولماذا طبع مع إسرائيل؟ وهل يتآمر مع قوى أجنبية ضد الجزائر؟ ولماذا استقبل وزراء خارجية دول الساحل؟ ... وبهذه الكيفية ينتقل مركز الاهتمام من مساءلة أداء السلطة إلى تتبع تحركات "العدو". ويشرح تشومسكي ذلك بأن الدعاية الفعالة لا تقنع بالحجج، بل تبدل سؤال النقاش: ترفع شعارات ولاء فارغة مثل "ادعموا قواتنا" لتمنع السؤال الحقيقي–هل تؤيدون السياسة؟– فتنتج اصطفافا انفعاليا بدل مساءلة.[3]

وبهذه الطريقة أيضا، يصبح العداء الموجه للمغرب جزءا من اقتصاد رمزي معقد يعيد توزيع الانتباه والشرعية والغضب داخل المجتمع. ومن هنا تأتي أهمية تحليل الوجه الآخر لهذه الوظيفة: أي التعالي ورفض "اليد الممدودة" كآلية لإنتاج شعور بالتفوق السياسي–الأخلاقي.

الفرع الثاني: وهم التفوق والتعالي ورفض "اليد الممدودة"

إلى جانب هذه الوظائف، يتخذ العداء شكل ما يمكن تسميته بـــالتعالي أو بتعبير دقيق وهم التفوق (Superiority Illusion) الذي يشير إلى انحياز معرفي–جماعي يجعل الفاعلين يميلون إلى تقييم ذواتهم بوصفهم أكثر أخلاقية أو عقلانية أو شرعية من الآخرين، في مقابل بناء صورة دونية للخصم.[4] وتؤدي هذه الآلية دورا مركزيا في الخطابات السياسية الصراعية، إذ تتيح إنتاج تفوق رمزي يعوض قصور الإنجاز الواقعي، ويسهم في شرعنة المواقف المتشددة ونزع الاعتراف المتبادل. وبذلك، لا يصبح رفض المصالحة في الحالة الجزائرية مجرد موقف سياسي ظرفي، بل يتحول إلى رأسمال رمزي–سياسي قابل للاستثمار الداخلي. ويتجلى هذا المنطق بوضوح في الطريقة التي يقابل بها خطاب "اليد الممدودة" الصادر عن الملك محمد السادس، والذي عبر في أكثر من مناسبة عن الاستعداد لفتح صفحة جديدة وتجاوز الخلافات، مع التأكيد، في الآن ذاته، على ثوابت المغرب في قضاياه السيادية.

---

[1] Noam Chomsky, Media Control: The Spectacular Achievements of Propaganda (New York: Seven Stories Press, 1997), 15.

[2] تشير التكتيكات السياسية الإلهائية إلى استراتيجيات متعمدة يعتمدها القادة السياسيون لصرف انتباه الرأي العام وتحويل التدقيق والمساءلة بعيدا عن إخفاقات السياسات الداخلية، أو الأزمات الاقتصادية، أو الفضائح الشخصية، نحو تهديدات خارجية مختلقة أو مضخمة، وغالبا ما يتم ذلك عبر تبني سياسات خارجية عدوانية مثل الحشود العسكرية أو التصعيد الدبلوماسي. راجع المقال التالي على الرابط:
https://oxfordre.com/politics/display/10.1093/acrefore/9780190228637.001.0001/acrefore-9780190228637-e-412

[3] Noam Chomsky, op. cit., 15.

[4] Dertwinkel-Kalt, Markus, Christoph Feldhaus, Axel Ockenfels, and Matthias Sutter. "The Illusion of Moral Superiority: Evidence from the Energy Crisis." European Economic Review 178 (2025): 105093. https://doi.org/10.1016/j.euroecorev.2025.105093.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

أكثر من ذلك، لا يُستقبل هذا العرض في الخطاب الجزائري باعتباره مبادرة عقلانية لإنهاء نزاع مكلف، بل يعاد تأويله كعلامة "ضعف" أو "استجداء"، مع تحويل القطيعة والإصرار على الاستمرار فيها إلى علامة قوة ورمزية. وبالمنطق ذاته، يقدم رفض الحوار ورفض فتح الحدود ورفض التعاون الأمني، ورفض التبادل التجاري، ... ورفض أي مقترح للتقارب كدليل على "كرامة وطنية عالية" و"نيف لا ينكسر" بتعبير الجزائريين، وكأن المصالحة شكل من أشكال الانحناء. وبهذا يصبح الامتناع عن الفعل فعلا سياسيا في حد ذاته مشحونا بالدلالة التي تروج لفكرة أن النظام في الجزائر يرفض التقارب مع المغرب لأنه "لا ينحني"، لا لأنه لا يرى مصلحة في التقارب؛ ويصر على رفض إعادة فتح الحدود لأن المغرب في "أمس الحاجة لذلك".

ويتجلى هذا التعالي الرمزي داخليا وخارجيا في آن واحد: داخليا، يعطي الانطباع بأن الجزائر "أعلى وأقوى" من أن تقبل مبادرة مغربية، وخارجيا يقدم بوصفه تعبيرا عن استقلالية القرار الوطني. وفي الحالتين، يتحول رفض المصالحة إلى مورد رمزي يستثمره النظام لترسيخ صورته كفاعل صلب وغير قابل للخضوع للضغوطات. ويُنتج هذا التعالي مفارقة يمكن مقاربتها من خلال مفهوم "التفكير المزدوج" (Doublethink) عند جورج أورويل،[1] بوصفه آلية تسمح بتبني مواقف متعارضة في نفس الوقت دون الإحساس بتناقضها. ففي الحالة الجزائرية، تحضر بعض أنماط هذا الخطاب المرتبط بالمغرب بوصفه أداة لضبط السردية العدائية؛ بحيث يتم تقزيم دور المغرب وتأثيره وفي نفس الوقت تضخيم خطورته وإبداء الخوف منه.

وكمثالٍ على ذلك، تُعلن الجزائر التزامها بمبادئ من قبيل تقرير المصير واحترام القانون الدولي، غير أن هذه المبادئ تصبح عمليًا ملغاة كلما تعلق الأمر بمسائل تمس الوحدة الداخلية، كحال منطقتي القبايل والطوارق. وعلى المنوال نفسه، يتضمن بعض الخطاب الدبلوماسي الرسمي تأكيدا على عدم معاداة "الشعب المغربي الشقيق"، في حين يُقدم المغرب في المنابر الإعلامية بوصفه خطرا وجوديا أو فاعلا مؤامراتيا دائما. ولا يقتصر دور التفكير المزدوج على تطبيع التناقض معرفيا، لكنه أيضا يمهد في الآن نفسه لآليات أكثر فاعلية في تدبير العاطفة الجماعية. فحتى عندما لا يصدق جزء من الجمهور كل تفاصيل البروباغندا السلبية حول المغرب، فإن تكرار صور التحطيم والتحقير يوفر نوعا من "التنفيس" أو نوعا من التعويض الانفعالي (Emotional Compensation)،[2] أو بتوصيف أكثر دقة يوفر مستوى من "المواساة الانفعالية" لدى شرائح واسعة من الشعب الجزائري: فوجود "آخر أسوأ" يخفف من قسوة الواقع، ويتيح إسقاط الغضب والإحباط عليه. وبذلك، لا تعمل الدعاية كأداة تضليل معرفي فقط، بل أيضا كأداة لإدارة العواطف الجماعية وتوجيهها بعيدا عن البنيات الداخلية.

ويمكن فهم فعالية هذه الآلية التنفيسية من خلال المفارقة بين تقييد أو منع خروج الجزائريين في تظاهرات داعمة لغزة، رغم حضور شعار "فلسطين ظالمة أو مظلومة" بقوة في الخطاب الرسمي والإعلامي، وبين السماح الواسع، بل وتشجيع الخروج إلى الشارع للاحتفال بهزائم المغرب الرياضية، وهو ما يكشف عن وظيفة انفعالية–سياسية لهذا العداء. فالعداء يتحول هنا إلى مسرح بديل للتعبئة يتيح تفريغ الضغط الشعبي من دون أن ينقلب إلى احتجاج سياسي. وقد تجلى هذا المنطق بوضوح خلال كأس إفريقيا 2025، حين تجمهرت على الحدود مجموعات من الجزائريين، وخرجت أخرى في مظاهر احتفالية عقب خسارة المغرب

---

[1] Orwell, George (1949). Nineteen Eighty-Four. Martin Secker & Warburg Ltd, London, part 1, chapter 3, pp 32

[2] التعويض (Compensation) هو آلية دفاع نفسي تساعد الأفراد على التكيف مع نقائص مدركة وحاجات غير مشبعة، سواء كانت حقيقية أم متخيلة. وهو يمثل محاولة لاواعية من العقل للتغطية على هذه النواقص عبر المبالغة في التعويض في مجالات أخرى. راجع الموقع التالي: https://mentalzon.com/en/post/2013/compensation-in-psychology-how-the-mind-cope-with-unmet-needs

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

للنهائي أمام السنغال في الرباط، في تعبير عن حالة من الشماتة الجماعية (collective schadenfreude)[1] حيث يختزل الفرح في "هزيمة الآخر" أكثر مما ينبني على "انتصار الذات".

وبناء على ما سبق، نستنتج أن العداء لا يختزل في كونه انفعالا عابرا أو إرثا تاريخيا، بل يعمل كأداة حكم ذات وظيفة سياسية واضحة. ويقتضي استكمال هذا التحليل بحث كلفة هذه الأداة على المستوى الإقليمي، وعلى مستوى تمثلات الشعبين وآفاق المصالحة، وهو ما سيتناوله المطلبان الثاني والأخير.

المطلب الثاني: النتائج والآثار الإقليمية

بعد تحليل الوظائف الداخلية للعداء، يتناول هذا المطلب كلفته الخارجية؛ أي ما يخلفه من آثار على الفضاء المغاربي وعلى تموقع البلدين إقليميا، بما في ذلك تفكك مشروع اتحاد المغرب العربي وبروز تكتلات أو "مغارب متعددة"، وظهور خطاب مغربي مضاد كرد فعل على هندسة الكراهية الجزائرية.

الفرع الأول: تفكك الفضاء المغاربي وتعدد "المغارب"

لعل النتيجة الأولى المباشرة لاستدامة العداء هي تفكك الفضاء المغاربي وتعطل مشروع اتحاد دول المغرب العربي الكبير، الذي ظل حبرا على ورق منذ تأسيسه سنة 1989. وتشير العديد من التقارير الدولية إلى أن تكلفة عدم الاندماج المغاربي تقاس بنقاط نمو ضائعة وفرص اقتصادية واستثمارية وتجارية مهدورة سنويا، فضلا عن ضعف القدرة على التفاوض مع القوى الكبرى ككتلة إقليمية.

لكن التفكك هنا لا يقتصر على البعد الاقتصادي، بل يتخذ شكل تحول جيوسياسي عميق. فقد اتجه المغرب، خلال العقد الأخير، إلى إعادة تموقعه بوصفه فاعلا أطلسيا–إفريقيا، عبر تعميق حضوره في غرب إفريقيا ووسطها، والاستثمار في الموانئ والبنوك والطاقات المتجددة، والانخراط في مشاريع استراتيجية كأنبوب الغاز نيجيريا–المغرب وعقد التحالفات مع دول الساحل والخليج والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية. في المقابل، اتجهت الجزائر في ظل عزلة إقليمية[2] غير مسبوقة –بعد قطع كلي للعلاقات مع المغرب غربا، وتوتر غير مسبوق مع فرنسا، وبرود في العلاقات مع إسبانيا شمالا، واتهامات متبادلة مع دول الساحل الإفريقي في الجنوب، وريبة وتوجس من حفتر في ليبيا شرقا– إلى تعزيز موقعها كفاعل متوسطي–ساحلي، بإحياء مشروع أنبوب الغاز العابر للصحراء لمنافسة مشروع نيجيريا–المغرب، وبالرهان أكبر على علاقاتها مع أوروبا الجنوبية، وتحديدا إيطاليا، أو بالدفع نحو إحياء اتحاد المغرب العربي بدون المملكة المغربية.

هذا التباين في المسارات يجعل الحديث عن "مغرب عربي واحد" أقل تعبيرا عن الواقع من الحديث عن "مغارب متعددة": مغرب أطلسي–إفريقي تتركز فيه المبادرة المغربية، ومغرب متوسطي–ساحلي تتركز فيه المبادرة الجزائرية، إضافة إلى مواقف

---

[1] الشماتة (Schadenfreude) هي مفهوم ألماني يصف اللذة أو الفرح أو الرضا الخبيث الذي يشعر به الفرد إزاء مصائب الآخرين أو إخفاقاتهم أو خيباتهم. ويعود أصل المصطلح إلى كلمتي Schaden (ضرر) وFreude (فرح). وغالبا ما ترتبط هذه العاطفة، التي يتجنب الإفصاح عنها اجتماعيا، بالحسد، وبالمقارنة الاجتماعية الصاعدة، أو بالإحساس بأن الضحية "تستحق" ما أصابها. للمزيد راجع المقال التالي: Aybala Albay, "Schadenfreude: A Conceptual Review," Psikiyatride Güncel Yaklaşımlar – Current Approaches in Psychiatry 17, no. 4 (2025): 600.

[2] عبد الله التجاني، "الجزائر في مواجهة عزلة إقليمية متزايدة بسبب التوترات مع دول الجوار"، هسبريس (موقع إلكتروني)، الإثنين 7 أبريل 2025، متاح على الرابط: https://www.hespress.com/نظام-الجزائر-في-مواجهة-عزلة-متزايدة-ب-1540693.html، تاريخ الاطلاع: 25 يناير 2026.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

تونس وموريطانيا المتذبذبة بين المحورين. في هذه البيئة، يصبح العداء الجزائري تجاه المغرب عنصرا مفسرا أساسيا لغياب أي تنسيق استراتيجي حقيقي؛ إذ يمنع حتى الحد الأدنى من التعاون الاقتصادي والأمني الذي يمكن أن يبنى مهما كانت الاختلافات والخلافات.

غير أن أثر التفكك يتجاوز مستوى السياسات إلى مستوى المخيال الإقليمي؛ إذ لم يعد الجيل الجديد في المنطقة يتخيل "المغرب العربي" كفضاء واحد، بل يتعامل مع دوله كعوالم منفصلة ذات مشاريع وتوجهات مختلفة. وهكذا يتحول العداء من أداة سياسية ظرفية إلى عامل تاريخي في إعادة رسم خريطة شمال غرب إفريقيا.

الفرع الثاني: بروز الخطاب المغربي المضاد

من النتائج اللافتة لاستدامة العداء وانتشاره في المجتمع الجزائري أن المغرب، الذي ظل لعقود يعتمد على سياسة رسمية هادئة، بدأ يشهد –في السنوات الأخيرة– بروز خطاب مضاد يبدأ من أسفل إلى أعلى؛ أي من النخب والفضاء الرقمي، لا من الدولة. كما أن هذا الخطاب لا يشمل الملك ولا الحكومة ولا الإعلام الرسمي، لكنه يتنامى في أوساط الأساتذة والباحثين والصحفيين والمؤثرين وجزء من الجمهور، بوصفه رد فعل على التعميم المرضي للكراهية الجزائرية ضد المغرب.[1] ورغم اختلاف الدرجة والنبرة والوظيفة، فإن هذا الخطاب المغربي الجديد، الذي يستمد بدوره بعض عناصره من منطق الاستهزاء والتنقيص وإعادة قراءة التاريخ بروح الشماتة، يصل إلى حد إطلاق توصيفات على الجزائر من قبيل "البلد الغريب الأطوار". وهو خطاب لا يخلو هو الآخر من مخاطر جسيمة؛ إذ يسهم في ترسيخ دينامية القطيعة المتبادلة، ويضعف إمكانات المصالحة الرمزية، لا سيما لدى الأجيال الرقمية الشابة التي تبني تمثلاتها في ظل قطيعة تمتد لجيل كامل (حدود مقفلة– صلات اجتماعية محدودة– تأطير عدائي مكثف عبر الإعلام بمختلف أنواعه ...)، وأيضا في سياق يفتقر إلى قنوات دبلوماسية ومبادرات ثقافية موازية فعالة وقادرة على إعادة تأطير المعنى وترميم الذاكرة المشتركة.

ويتخذ الخطاب، لدى هذه الفئة التي تعلن تموقعها الطوعي في موقع الدفاع المتقدم عن صورة المغرب، أنماطا تعبيرية متعددة تتراوح بين السجال السياسي والاستدعاء الانتقائي للذاكرة التاريخية والتفكيك الحجاجي للبروباغاندا الجزائرية. ويتمظهر ذلك، على نحو خاص، في النبش في التاريخ الجزائري الحديث بقراءة نقدية تسعى إلى إبراز ما تعتبره تناقضات في السردية الرسمية، من مرحلة الإيالة العثمانية إلى الحقبة الاستعمارية الفرنسية، واستحضار فترات العنف الداخلي والحرب الأهلية والفساد واقتصاد الريع، فضلا عن تسليط الضوء على تعثر بعض المشاريع الإقليمية التي التزمت بها الجزائر، بوصف ذلك مؤشرا على فجوة بين الطموح المعلن والقدرة الفعلية على الإنجاز. علاوة على تفكيك الادعاءات المرتبطة بالتراث والثقافة والهوية؛ مع التركيز على ما يتعلق بخوف النظام من "تفحص التاريخ" بشكل قد يغذي السردية القائلة إن الجزائر الحديثة صنيعة الاستعمار الفرنسي.[2]

وإلى جانب التحليل الأكاديمي الموثق الذي يقدمه بعض الأساتذة والباحثين عبر البثوث المباشرة (Live) على منصات مثل يوتيوب وتيك توك لتفكيك خطاب الدعاية الجزائرية –وإن لم يخلُ أحيانا من توظيف لأدوات السخرية السياسية– يبرز في المقابل طيف واسع من الناشطين والمؤثرين وبعض المعلقين العابرين الذين يعتمدون خطابا سجاليا أكثر حدة باستخدام نفس أساليب التهكم والتحقير التي ينتقدونها في الخطاب المقابل، باعتبارها آلية رد مناسبة ومعاملة بالمثل على ما يعتبرونه مبالغات في الإعلام

[1] شهدت شبكات التواصل الاجتماعي خلال السنوات الست الأخيرة بروز عدد من الأساتذة الجامعيين والباحثين والناشطين الجمعويين والسياسيين الذين خصصوا قنوات على يوتيوب وحسابات على منصات رقمية للرد على السرديات الجزائرية وانتقاداتها للمغرب، ومن بينهم – وفق الأسماء المتداولة – عبد الرحيم منار اسليمي، أحمد نورالدين، عبد الفتاح نعوم، نورالدين الصنايبي، عمر الشرقاوي، إبراهيم الغوثي، محمد اوزي، إلخ.

[2] Bennis, "Algeria's Morocco Obsession Has Killed Reconciliation Prospects."

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

الجزائري، سواء ما يتعلق بتشويه صورة المغرب أو بمحاولات الاستحواذ الرمزي على عناصر من تاريخه وتراثه. ويتجلى ذلك في لجوء بعض "المدافعين" إلى تداول معجم قدحي ينطوي على قدر كبير من التحقير، ومشحون بإحالات تاريخية ورمزية، بل وبإيحاءات جنسية صريحة أحيانا، تستعمل لوصم "الآخر" الجزائري، من قبيل: "ورثة الحدود عن الاستعمار" و"أولاد بوسبير"، و"أولاد فيلاج اللفت"، و"أحفاد بوتقبة"، و"الكراغلة"، و"أولاد الحركي"، و"أحفاد أم حسن"، و"متحف الجماجم" و"آكلو لحم الحمير والبغال" و"مقاطعة دوغول"، و"التبونيون"، وغيرها من التسميات التي يجري توظيف بعضها بشكل تبادلي في الاتجاهين، بشكل يعكس بداية انزلاق متبادل نحو خطاب تنقيصي يختزل التعقيد التاريخي والسياسي في صور نمطية مهينة. وبذلك تحول الفضاء الرقمي إلى ساحة يومية للسجال، تعاد فيها صياغة النقاش العمومي حول العلاقة الثنائية وفق منطق الدحض المتواصل أكثر من منطق التحليل الهادئ.

وتعليقا على هذا الوضع، نشرت صحيفة القدس العربي نقلا عن صحيفة لوبوان، بعنوان بارز، أن العداء السياسي المزمن بين الجزائر والرباط انتقل بقوة إلى شبكات التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام على الجانبين؛ بحيث أصبحت هذه الفضاءات ملوثة بخطاب الكراهية والتشويه والاتهامات المتبادلة، مستشهدة بمثالين صادمين: الأول يتعلق بتغريدة جزائرية تطالب ببناء جدار عازل مع المغرب ومراجعة شروط إقامة المغاربة في الجزائر، مرفقة بهاشتاغ "نقطة اللاعودة"؛ والثاني يتعلق بتغريدات مغربية تستحضر تصريح الداعية محمد الفيزازي بخصوص تفضيله التمر الإسرائيلي على الجزائري، مع ربط موقفه بالمواقف العدوانية لشنقريحة، قائد الجيش الجزائري.[1]

ويشير هذا التطور إلى نهاية طور أحادية العداء؛ بحيث لم يعد العداء في اتجاه واحد فقط، بل بدأ يجد ما يواجهه في المجال الرمزي، وإن ظل هذا الرد المغربي محدودا و لم يتحول إلى سياسة دولة. غير أن استدامة هذه الدينامية، إذا لم تعالج بنيويا، قد تدفع في المدى المتوسط إلى تبلور تمثلات سلبية ثابتة عن الجزائر داخل الذهنية المغربية، بشكل يهدد بتحويل الصراع من نزاع سياسي غير متناظر إلى نزاع تمثلات متبادلة.

وتزداد خطورة هذا المسار حين نلاحظ أن بعض أنماط التنمر والعداء الرمزي لا تظل حبيسة الثنائية المغربية–الجزائرية، بل تمتد أحيانا إلى محيط إقليمي آخر؛ إذ يسجل، في السياق التونسي مثلا، استياء لدى فئات من التونسيين من مظاهر "الأنا المتضخمة" لدى بعض الخطابات والسلوكات الجزائرية، سواء عبر مجاهرة بعض السياح بانتقاد أنماط العيش واللباس في تونس، أو المن بالمساعدات الجزائرية، أو التقليل من جودة الحياة، وصولا إلى إطلاق أحكام قدحية تمس التدين والأعراض: (فطارين رمضان– الدربوكة في إشارة إلى بنات الهوى...). ويؤشر هذا الامتداد إلى أن العداء الرمزي، حين يتحول إلى أسلوب نظر وتقييم للآخر، لا يبقى مجرد خصومة سياسية مع دولة بعينها، بل ينتج قابلية للتوتر مع المحيط، ويغذي بدوره ردود فعل مقابلة قد تنتهي إلى تشكل صور نمطية سلبية متبادلة على المدى الأبعد.

وارتباطا بالسياق المغربي، يكتسب تحذير الباحث المتخصص في شؤون المغرب والصحراء سمير بنيس دلالته، إذ ينبه إلى تآكل صبر المغرب بفعل استمرار التصعيد، بما قد يدفع فئات داخله إلى المطالبة بالتخلي عن سياسة النفس الطويل، وهو ما قد يفضي، في حال استمرار المسار الحالي، إلى مخاطر تصعيدية لا تستبعد سيناريو المواجهة العسكرية.[2]

---

[1] صحيفة القدس العربي (نقلا عن جريدة لوبوان)، «العداء بين الجزائر والرباط يلوث بشكل خطير الشبكات الاجتماعية ووسائل الإعلام على جانبي الحدود»، القدس العربي، 10 يونيو 2023، متاح على الرابط. https://www.alquds.co.uk. تاريخ الاطلاع: 25 يناير 2026.

[2] Bennis, "Algeria's Morocco Obsession Has Killed Reconciliation Prospects."

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

من هنا نخلص إلى أن آثار العداء تتجاوز تعطيل الفضاء المغاربي إلى إنتاج دوامة من الخطابات المتقابلة، ما يجعل سؤال تمثلات الشعبين وآفاق المصالحة سؤالا حتميا، وهو ما سنتناوله في المطلب الأخير.

المطلب الثالث: تمثلات الشعبين وآفاق المصالحة

يركز هذا المطلب على البعد الأعمق للصراع، أي الكيفية التي يعيد بها تشكيل تمثلات الجزائريين والمغاربة بعضهم تجاه بعض، وما الذي يعنيه ذلك بالنسبة لإمكانات المصالحة. ويطرح، في هذا الإطار، سؤال السيناريوهات الممكنة: هل نحن أمام مصالحة مشروطة، أم مؤجلة، أم استحالة فعلية؟ كما يستشرف هذا المطلب، في حال استمرار العداء وتصلب التمثلات، مآلات هذا المسار وتداعياته المحتملة على العلاقات الثنائية وإمكانات المصالحة مستقبلا.

الفرع الأول: سيناريوهات المصالحة و"اليد الممدودة" كاستراتيجية دولة

يثير وضع العلاقات الجزائرية–المغربية سؤالا مركزيا: هل ما زالت المصالحة ممكنة؟ وإذا كانت كذلك، فبأي شروط، وعلى أي مستوى، وفي أي أفق زمني؟ للإجابة، ينبغي التمييز بين مستويات المصالحة الممكنة: من أعلى (بين الأنظمة)، ومن أسفل (بين الشعبين)، ثم المصالحة الهجينة التي تمزج بين المسارين.

على المستوى الرسمي، في الوقت الذي صرح الرئيس تبون في حوار مع قناة الجزيرة القطرية في مارس 2023 بأن العلاقة بين الجزائر والمغرب وصلت إلى نقطة اللاعودة،[1] تبنت المملكة المغربية عبر خطابات ملكية ما يمكن وصفه بـــ"استراتيجية اليد الممدودة"؛ وهي سياسة تقوم على عرض متكرر للحوار وفتح الحدود وتجاوز الخلافات، مع التشبث في الآن نفسه بالثوابت الوطنية، خصوصا فيما يتعلق بالصحراء المغربية. وقد جاء في خطاب الملك محمد السادس بمناسبة الذكرى 26 لعيد العرش ما يلي: "وإن التزامنا الراسخ باليد الممدودة لأشقائنا في الجزائر، نابع من إيماننا بوحدة شعوبنا، وقدرتنا سويا، على تجاوز هذا الوضع المؤسف."[2]

هذا العرض، الذي تكرر في خطب عديدة، والذي صيغ بلغة لا تتضمن شروطا مسبقة ولا مطالب مهينة للطرف الآخر، يجعله، من حيث المبدأ، أرضية ممكنة لبداية مسار تهدئة. لكن هذا العرض لم يجد في الجانب الجزائري مخاطبا فعليا؛ إذ لم يصدر أي تجاوب رسمي إيجابي، بل جرى تجاهله أو الرد عليه بلغة تعيد تأويله كعلامة ضعف أو تنازل.[3] من هذا المنظور، تبدو المصالحة من أعلى في المدى القصير ضعيفة الاحتمال، لأنها تتطلب تغييرا في حسابات المؤسسة العسكرية وبنية الشرعية السياسية، وهما عاملان لم تظهر مؤشرات قوية على تحولهما.

أما على المستوى الشعبي، فالصورة أكثر تعقيدا. فمن جهة، هناك رصيد تاريخي وثقافي وديني ولغوي مشترك يمكن أن يشكل أساسا قويا لمصالحة من أسفل، ومن جهة أخرى، هناك ترسخ لتمثلات سلبية في المجتمع الجزائري، تتزايد بفعل الإعلام والفضاء الرقمي، وتجد في بعض ردود الفعل المغربية ما يغذيها. في هذا الصدد، يرى الباحث المغربي عبد الصمد بلكبير بأن الهتافات الجزائرية المعادية والتحقيرية للمغرب خلال افتتاح بطولة أفريقيا (الشان) لكرة القدم بالجزائر، "نابعة عن الشعور

---

[1] قناة الجزيرة، «الرئيس تبون للجزيرة: العلاقة بين الجزائر والمغرب وصلت إلى نقطة اللاعودة»، منصة يوتيوب، 22 مارس/آذار 2023، https://www.youtube.com/watch?v=a8dizJn6SuE. تم الاطلاع في 25 يناير 2026.

[2] الموقع الرسمي للمملكة المغربية، «جلالة الملك يوجه خطابا ساميا إلى الأمة بمناسبة عيد العرش المجيد»، 29 يوليو 2025، https://www.maroc.ma. تم الاطلاع في 2026/01/25.

[3] القدس العربي، «هكذا تفاعل الإعلام الجزائري مع اليد الممدودة من الرباط»، 31 يوليوز 2025، https://www.alquds.co.uk/هكذا-تفاعل-الإعلام-الجزائري-مع-اليد-الم/ تم الاطلاع في 2025/01/25.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

الجزائري، لأنها بالكاد (جماهير) وليست الجماهير أو الشعب الجزائري، الشعب الجزائري لازال واعيا أنه (توأم)، وليس فقط شقيق، للشعب المغربي، وما رأيناه غوغاء مصطنعون أو مكلفون بمهمة، وغالبا مرتزقة قدم لهم أجر من قبل الإدارة البيروقراطية الترابية والأمنية الجزائرية".[1] والواقع أن طيفا واسعا من النخبة المغربية وكذلك من النخبة الجزائرية[2] ما تزال مؤمنة بأن المصالحة من أسفل ممكنة نظريا، لكنها مشروطة بتفكيك جزء من هندسة الكراهية، وبفتح قنوات تواصل غير رسمية بين الفاعلين المدنيين في البلدين.

انطلاقا من ذلك، يمكن الحديث عن ثلاث فرضيات استشرافية:

- مصالحة مشروطة: قد تتحقق إذا تغيرت بنية السلطة في الجزائر أو تراجعت وظيفة العداء، أو تم إقفال ملف الصحراء المغربية نهائيا عبر تنزيل الحكم الذاتي، أو دخول الجزائر في أزمة اقتصادية خانقة بسبب انهيار أسعار المحروقات، الأمر الذي قد يفتح الباب أمام استثمار سياسة "اليد الممدودة" المغربية في إطار تسوية شاملة لملفات الخلاف، أو عبر مساعي وساطة تقودها قوى دولية نافذة (كما يجري حاليا بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية).
- مصالحة مؤجلة: وهو السيناريو الأكثر ترجيحا في الأمدين القصير والمتوسط؛ حيث يستمر العداء في مستوى الخطاب الرسمي، مع بقاء قنوات دبلوماسية غير معلنة، دون انفراج حقيقي.
- مصالحة مستحيلة: نظريا، لا يمكن الجزم بهذا السيناريو، لأن العداء لا يستند إلى صراع حضاري أو ديني أو لغوي جذري، بل إلى بناء سياسي–رمزي قابل للتفكيك إذا تغيرت المعطيات.

وتظل سياسة "اليد الممدودة"، في هذا السياق، استراتيجية دولة تهدف –في الحد الأدنى– إلى تثبيت سقف الصراع ومنع الانزلاق إلى مواجهة مباشرة، وفي الحد الأقصى، إلى ترك باب المستقبل مفتوحا أمام تسوية محتملة حين تنضج شروطها الداخلية والإقليمية. غير أن هذه الإمكانات تبقى رهينة بما سيؤول إليه سيناريو استمرار العداء وتصلب التمثلات، وهو ما سيتناوله الفرع الثاني والأخير.

الفرع الثاني: استشراف المستقبل: سيناريو استمرار العداء وتصلب التمثلات

في مقابل سيناريو الانفراج وقبول عرض اليد الممدودة، يطرح استمرار هندسة الكراهية في الخطاب الجزائري سيناريو آخر لا يقل واقعية، هو سيناريو استمرار العداء وتصلب التمثلات. في هذا السيناريو، يتحول العداء من سياسة مرحلية إلى بنية دائمة في الوجدان السياسي، يعاد إنتاجها مع كل جيل عبر التنشئة الاجتماعية والمدرسة والإعلام والفضاء الرقمي، فتغدو صورة المغرب كعدو جزءا من "البديهيات" غير القابلة للمساءلة.

وتكمن خطورة هذا السيناريو في أن كلفة المصالحة ترتفع مع مرور الزمن؛ فكلما ترسخت التمثلات السلبية، أصبح التراجع عنها يحتاج إلى صدمة معرفية أو سياسية كبرى تعيد تشكيل الوعي الجماعي. كما أن انتقال جزء من العداء إلى مستوى المجتمع، لا سيما عبر شبكات التواصل وصانعي المحتوى والمؤثرين والفضاءات الثقافية، حيث أصبحت المنصات الرقمية خط مواجهة

[1] علي بنهرار، «الحرب الدعائية بين المغرب والجزائر: هل انتهى زمن "خاوة خاوة" بين الشعبين؟»، موقع Marayana، 19 أبريل/نيسان 2023 (تحديث: 17 أبريل/نيسان 2023)، https://marayana.com/laune/2023/04/19/67834/. تم الاطلاع في 25 يناير/كانون الثاني 2026.

[2] على قلّتها، تظهر في مواقع التواصل الاجتماعي أصوات جزائرية عاقلة تدعو إلى عدم الانجرار وراء خطاب العداء الجزائري الرسمي، من بينهم المعارض والناشط السياسي شوقي بنزهرة، والمعارض المقيم بالمغرب وليد كبير، والمعارض علي بلحاج، والمعارض أنور مالك. وآخرون.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

رئيسي في هذه "الحرب الثقافية"، وهو ما دفع المغرب إلى اللجوء إلى أدوات قانونية أكثر صرامة لحماية رموزه التراثية مثل الزخارف والزليج والقفطان... بدل الاكتفاء فقط باليونسكو.[1]

أما في المجال الثقافي–الرمزي والتاريخي، فيبرز التصلب وتوسيع دائرة العداء في المحاولات الحثيثة لخلط الأوراق بخصوص التراث المادي واللامادي، عبر الادعاء –دون سند موثق– بأن ابن بطوطة وطارق بن زياد جزائريان، والزاوية التيجانية، وباب المغاربة بالقدس، ...، وأن عناصر من قبيل الزليج الفاسي، والقفطان، والطاجين، وموسيقى ناس الغيوان، والتبوريدة، وطقوس الأعراس، وشجرة الأركان... "مشتركات مغاربية" أو ذات "أصول جزائرية"، في محاولة لزرع الشك في خصوصية الهوية الثقافية المغربية، وإزاحة مركز ثقلها لصالح سردية وطنية منافسة. ويتقاطع ذلك مع ممارسات أخرى، من قبيل استنساخ جزئي لبعض عناصر البروتوكول المخزني والأنشطة الملكية – سواء في الزي والألوان والتنظيم والموسيقى، أو في الدروس الحسنية ومسابقات تجويد القرآن – خلال بعض المناسبات الرسمية؛ بما يكشف مفارقة مزدوجة: رغبة في امتلاك الرأسمال الرمزي نفسه، مع رفض الاعتراف بمصدره المغربي.

بل أكثر من ذلك، يبرز تصلب العداء وتمدده إلى المستوى المؤسسي–المعرفي في شكل قرارات تنظيمية وقانونية تضيق هوامش الاشتغال المشترك، ويتمثل ذلك في منع وزارة التعليم العالي الجزائرية من التعامل مع المراجع المغربية في الأبحاث الجامعية، ومنع التعاون الأكاديمي مع الباحثين المغاربة،[2] وهي قرارات لا تعبر فقط عن توتر دبلوماسي، بل عن رغبة في شيطنة المعرفة القادمة من المغرب وتجريدها من الشرعية العلمية. فلا يتعلق الأمر بمجرد تضييق إداري على التعاون، بل بإعادة تشكيل المجال المعرفي نفسه؛ إذ تُعاد صياغة حدود المقبول أكاديميا، ويُوجه إنتاج المعرفة عن الآخر بما ينسجم مع سردية معينة.

ويمتد هذا الضبط من حقل المعرفة إلى حقل الذاكرة الوطنية عبر سياسة ممنهجة لإنكار الدعم المغربي للمقاومة الجزائرية خلال مرحلة التحرير، بل وقلب السردية بادعاء أن الجزائر هي التي سهلت استقلال المغرب، مع التضييق بل سجن المؤرخين والسياسيين الجزائريين الذي يقدمون روايات مخالفة تبرز الدور المغربي، في مسعى لمحو أي أثر إيجابي للمغرب من الذاكرة الوطنية. وعلى مستوى التواصل اليومي، تترجم هذه الهندسة إلى سلوك جدالي دفاعي؛ إذ صار الإنكار الدفاعي (Defensive Denial)[3] استراتيجية شبه ثابتة لدى جل الجزائريين حتى في الحوارات العادية التي تجمع جزائريين بمغاربة على قنوات فضائية أو خلال لقاءات علمية وأكاديمية، والتي غالبا ما تتسم بالتشنج الشديد.

وضمن هذا المناخ الخطابي العام، لا يبقى خطاب العداء حبيس الفضاء الجامعي أو الإعلامي، بل يتسرب إلى مؤسسات التنشئة الأولى، حيث سُجلت أيضا حالات لنقل خطاب الكراهية إلى الحقل التربوي في الاسلاك الابتدائية، من بينها فيديو منتشر

---

[1] Sarah Zaaimi, "A War Is Raging between Algeria and Morocco. It Is Being Fought in the Heritage Arena," Atlantic Council, n.d., accessed January 25, 2026, https://www.atlanticcouncil.org/blogs/menasource/morocco-algeria-culture-wars-unesco/

[2] بناء على التقارير الصادرة في منتصف عام 2022، وجهت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (الجزائرية) مراسلات تدعو إلى تجميد الأنشطة العلمية والتعاون الأكاديمي مع الجامعات المغربية، بما في ذلك منع مشاركة الباحثين الجزائريين في الأنشطة المغربية والحد من التعامل مع المراجع المغربية، راجع "قصر المرادية يمنع الأساتذة الجامعيين..."، خبر صحفي، هسبريس (موقع إلكتروني)، 23 سبتمبر 2022، متاح على الرابط: https://www.hespress.com/.../، تاريخ الاطلاع: 25 يناير 2026.

[3] يمكن فهم بعض أنماط التفاعل الجدالي لدى المحاورين الجزائريين من خلال آليتي الإنكار الدفاعي (Defensive Denial) وتحويل النقاش أو المغالطة التحويلية (Whataboutism). مثلا، عند إثارة التناقض في اتهام المغرب بدعم حركة الماك، رغم احتضانها ورعايتها في فرنسا، يظهر نمط من الإنكار الدفاعي يهدف إلى نفي الإحراج وحماية السردية الرسمية من المساءلة. وعندما يتواصل الضغط الحجاجي، يفعل تحويل النقاش عبر نقل الحوار إلى ملفات بديلة أو إطلاق اتهامات مقابلة، بما يسمح بتفادي مناقشة جوهر التناقض وإعادة توجيه المسار الجدالي ليخدم الإطار السردي القائم.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

حول واقعة لمعلمة تبث مشاعر عدائية تجاه المغرب داخل فصل دراسي ابتدائي.[1] وهذا يعني أن أي تحول رسمي في المستقبل سيجد أمامه مقاومة تمثلاتية من القاعدة، ما يجعل المصالحة من أعلى غير كافية من دون عمل عميق على مستوى إعادة بناء الصورة المتبادلة.

في الوقت نفسه، قد يؤدي استمرار التعرض المغربي لهندسة الكراهية الجزائرية ورفض عروضه المتكررة لفتح قنوات حوار هادئ ومتزن، إلى نشوء تمثلات سلبية مقابلة في المجتمع المغربي وإلى تحويل العداء من ظاهرة غير متناظرة إلى عداء تمثلاتي متبادل ومتزايد وبأشكال راديكالية غير مسبوقة، وبالتالي إلى تبخر كامل لشعار "خاوا، خاوا"؛ وهو تطور من شأنه أن يعمق الاحتقان ويغلق لفترة طويلة أفق أي مشروع مغاربي مشترك، ويحول الفضاء المغاربي إلى مجموعة وحدات سياسية متجاورة بلا رابط، ولا خيال جماعي مشترك.

ونتيجة لذلك، لن يعود السؤال الرئيسي هو: هل يمكن أن تتصالح الجزائر والمغرب؟ بل يتحول إلى سؤال: ما هي كلفة هذه المصالحة إذا تأخرت؟ ومن سيدفعها؟ وفي أي أفق تاريخي؟

خاتمة

تبين هذه الدراسة أن العداء الجزائري تجاه المغرب ليس حالة عابرة من التوتر بين دولتين جارتين، بل هو بناء سياسي–خطابي–تمثلاتي مركب، تتداخل فيه اعتبارات الشرعية والهوية والأمن، وتتغذى منه آليات هندسة الكراهية والشيطنة والتجريم الرمزي والأمننة. وقد أظهر التحليل أن صورة المغرب كعدو خارجي تتشكل عبر مسار طويل من ولادة العداء السياسي ومأسسته وتعميمه على المجتمع وتدويله في الفضاء الخارجي، بالاستناد إلى جهاز مفاهيمي نظري يستعير من حقول العلاقات الدولية والعلوم الاجتماعية مفاهيم مثل صناعة العدو والأخرنة وصورة العدو والتمثلات الاجتماعية والذعر الأخلاقي والبارانويا السياسية والهوية السلبية، ومفاهيم أخرى تفسيرية.

على المستوى الوظيفي، يتضح أن هذا البناء العدائي يؤدي أدوارا سياسية واجتماعية ذات جدوى بالنظر إلى بنية النظام الجزائري: فهو يوفر رواية مستمرة للشرعية، ويؤمن موارد للتعبئة والتحشيد، ويساعد على تحويل الانتباه عن الأزمات الداخلية، ويتيح بناء هوية سلبية تستمد تماسكها من نفي الآخر. ويضاف إلى ذلك بُعد المواساة الجماعية ووهم التفوق وأيضا التعالي الرمزي الذي يحول رفض المصالحة في الخطاب الجزائري إلى رأسمال سياسي أمام الجمهور، في مقابل سياسة "اليد الممدودة" المغربية.

إقليميا، أسهمت هذه الخيارات في تفكيك الفضاء المغاربي وتعطيل مشروع الاتحاد، وفي بروز ما يمكن وصفه بـــ"مغارب متعددة" بمسارات جيوسياسية متباعدة، بدل مغرب عربي واحد. أما على مستوى التمثلات، فإن الخطر الأبرز يكمن في تصلب الصورة السلبية للمغرب داخل الوجدان السياسي الجزائري، مع احتمال تنامي تمثلات مضادة في المغرب، بشكل يؤدي إلى غلق أفق المصالحة لعقود، أو يجعلها مكلفة سياسيا وثقافيا.

بالطبع، هذه النتائج لا تقود إلى حكم حتمي بشأن مستقبل العلاقات الجزائرية–المغربية؛ فهي لا تقول باستحالة المصالحة، كما لا تفترض حتميتها. لكنها تشير بوضوح إلى أن استمرار العداء بصيغته الراهنة يرفع كلفة أي تسوية مستقبلية، ويجعل تجاوز منطق "العدو الضروري" شرطا لا بد منه لأي إعادة بناء جدية للفضاء المغاربي.

[1] معلمة جزائرية تثير الجدل وتحرض تلاميذها على كره المغرب"، مقطع فيديو قصير (YouTube Shorts)، منصة يوتيوب، منشور في 21 يناير 2026، متاح على الرابط: https://www.youtube.com/shorts/EykFpK7sEvM، تاريخ الاطلاع: 25 يناير 2026.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

وتفتح هذه الدراسة، في الآن ذاته، آفاقا بحثية متعددة يمكن أن تسهم في اختبار نتائجها أو مراجعتها. فمن الممكن، مثلا، إنجاز دراسات سوسيولوجية كمية وكيفية ترصد بدقة بنية خطابات العداء المتبادلة وتحولاتها، وتحلل أثر التنشئة الاجتماعية والمناهج الدراسية في تشكيل التمثلات المتبادلة. كما يظل من الضروري استكشاف الأصوات الجزائرية الرافضة لتعميم منطق العداء، والتي لم تتح لهذه الدراسة مساحة كافية لإبراز مواقفها، فضلا عن تحليل تمثلات فئة الشباب في البلدين باعتبارها فاعلا حاسما في إعادة إنتاج السرديات أو تفكيكها. ويمكن كذلك توسيع الأفق المقارن عبر وضع الحالة الجزائرية–المغربية في سياق حالات عداء مماثلة في مناطق أخرى من العالم، بما يسمح باستخلاص أنماط تفسيرية أعم، إلى جانب بحث إمكانات المصالحة "من أسفل" من خلال مبادرات مدنية وثقافية عابرة للحدود، قد تشكل مدخلا لتجاوز منطق الاستقطاب الرمزي السائد.

في المحصلة النهائية، وبعيدا عن منطق الانفعال الظرفي، يظل هذا التحليل مندرجا ضمن انتماء وطني مغربي لا يُخفي تعاطفا طبيعيا مع بلده، غير أن هذا الانتماء لم يحُل دون سعيي إلى تناول ظاهرة العداء بمنهج علمي نقدي، يستند إلى مادة خطابية واقعية ومتوفرة بكثافة، ويتوخى أقصى درجات الموضوعية والاتزان. وضمن هذا الأفق، يبقى مستقبل هذه العلاقات مرهونا بقدرة الفاعلين، دولا ومجتمعات، على الانتقال من سياسة تعرف ذاتها عبر تعيين عدو دائم، إلى سياسة تعيد تعريف ذاتها عبر إدارة الاختلاف، ومن هندسة الكراهية إلى هندسة التعايش والاحترام المتبادل. وعليه، فالمصالحة ليست مجرد قرار سياسي أو مبادرة ملكية أو رئاسية من أعلى، بل هي أيضا، وبالقدر نفسه من الأهمية، عملية تفكيك لخطابات رقمية متبادلة قد تتحول مع مرور الزمن إلى مكون ثابت من مكونات الهوية الوطنية السلبية لدى الطرفين.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المراجع والمصادر:

أ) مراجع عربية

- مجلة الجيش. عدد 744 (جويلية 2025)، وزارة الدفاع الوطني الجزائري.
- عادل عنتر علي. «نظريات الأمننة في مجال العلاقات الدولية: من مدرسة كوبنهاغن ونحو نظرية اتصالية مقترحة لدراسة الأمننة .»*مجلة كلية السياسة والاقتصاد*، جامعة الإسكندرية، المجلد 15، العدد 14 (2022/04): 570–571.

ب) مراجع أجنبية

أولا: الكتب(Monographs / Books)

1. Becker, Howard. *Outsiders: Studies in the Sociology of Deviance*. New York: Free Press, 1963.
2. Buzan, Barry; Wæver, Ole; de Wilde, Jaap. *Security: A New Framework for Analysis*. Boulder: Lynne Rienner Publishers, 1998.
3. Conesa, Pierre. *La fabrication de l'ennemi dans les démocraties…* (1998).
4. Dornel, Laurent. *La fabrication de l'ennemi "héréditaire" allemand (1815–1914)* (2014).
5. Goffman, Erving. *Frame Analysis: An Essay on the Organization of Experience*. Boston: Northeastern University Press, 1986.
6. Goffman, Erving. *Stigma: Notes on the Management of Spoiled Identity*. Englewood Cliffs: Prentice-Hall, 1963.
7. Hofstadter, Richard. *The Paranoid Style in American Politics and Other Essays*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1964.
8. Jervis, Robert. *Perception and Misperception in International Politics*. Princeton: Princeton University Press, 2017.
9. Noam Chomsky. *Media Control: The Spectacular Achievements of Propaganda*. New York: Seven Stories Press, 1997.
10. Orwell, George. *Nineteen Eighty-Four*. London: Martin Secker & Warburg, 1949.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

11. Searle, John R. *Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language*. Cambridge: Cambridge University Press, 1969.

ثانيا: مقالات علمية(Journal Articles)

1. Cohen, Jonathan R. "Negative Identity and Conflict." *Ohio State Journal on Dispute Resolution* 35, no. 5 (2020).

2. Dertwinkel-Kalt, Markus; Feldhaus, Christoph; Ockenfels, Axel; Sutter, Matthias. "The Illusion of Moral Superiority: Evidence from the Energy Crisis." *European Economic Review* 178 (2025): 105093.

3. Emiliani, Francesca; Palmonari, Augusto. "La psychanalyse, son image et son public…" Università di Bologna, 2019.

4. Entman, Robert M. "Framing: Toward Clarification of a Fractured Paradigm." *Journal of Communication* 43, no. 4 (1993).

5. Gerő, Márton et al. "Understanding the Use of Enemy Images." *Intersections* 3, no. 3 (2017).

6. Hihara, Shogo; Sugimura, Kazumi; Syed, Moin. "Forming a Negative Identity in Contemporary Society." *Identity* (2018).

7. Ion, Cristina. "Guerre et politique : L'ennemi chez Machiavel." *Annals of the University of Bucharest* 8 (2006).

8. Iotti, Nathalie O.; Jungert, Tomas. "The Concept of Moral Panic…" *Psicologia Sociale* (2018).

9. Jacob, André. "Réflexions sur la construction de l'ennemi." *Société* (2002).

10. Jensen, Sune Qvotrup. "Othering, Identity Formation and Agency." *Qualitative Studies* 2, no. 2 (2011).

11. Kadirova, Sitora. "Legality, Legitimacy and Legitimation of Political Power…" *International Journal on Integrated Education* (2020).

12. Leong, Nancy. "Negative Identity." *Southern California Law Review* 88 (2015).

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

13. Petrović, Predrag. "Enemy as the Essence of the Political." *Western Balkans Security Observer* (2009).

14. Romero-Rodríguez, Luis M. et al. "The Process of the Transfer of Hate Speech…" *Politics and Governance* 11, no. 2 (2023).

15. Wayne, Mike et al. "Television News and the Symbolic Criminalisation of Young People." (2015).

ثالثا: أوراق عمل / تقارير بحثية

1. Tannenberg, Marcus et al. *Regime Legitimation Strategies (RLS), 1900–2018*. V-Dem Institute Working Paper No. 86, 2019.

ثانيا: المراجع الإلكترونية

أ) مواقع عربية

- AL24news – قناة الجزائر الدولية: https://www.youtube.com/@AL24news
- Algeria Times: https://algeriatimes.net
- BBC News عربي: https://www.youtube.com/@bbcnewsarabic
- Marayana: https://marayana.com
- الموقع الرسمي للمملكة المغربية: https://www.maroc.ma
- الجزيرة نت: https://www.aljazeera.net
- قناة الجزيرة (يوتيوب): https://www.youtube.com/@aljazeera
- القدس العربي: https://www.alquds.co.uk
- العرب: https://www.alarab.co.uk
- الصحيفة: https://www.assahifa.com
- هسبريس: https://www.hespress.com
- Swissinfo (الخدمة العربية): https://www.swissinfo.ch/ara
- يوتيوب: https://www.youtube.com
- https://www.middle-east-online.com

ب) مواقع أجنبية

- arXiv: https://arxiv.org
- Atlantic Council: https://www.atlanticcouncil.org

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

- Emerald Publishing: https://www.emerald.com
- Oxford Research Encyclopedia of Politics: https://oxfordre.com/politics
- Routledge: https://www.routledge.com
- UK Data Service: https://ukdataservice.ac.uk
- University of Innsbruck: https://www.uibk.ac.at
- Wiley Online Library: https://onlinelibrary.wiley.com
- Current Approaches in Psychiatry (Psikiyatride Güncel Yaklaşımlar): https://www.psikguncelyaklasimlar.org
- Mentalzon: https://mentalzon.com

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/